سلمى بوهالي

بين القاعِ والقاَع

رواية

شكر:

أتوجه بخالص الشكر " لمكتبة كتوباتي / kotobati" الإلكترونية كونها أول داعم لي أولا في أولى بداياتي و ثانيا على تصميم غلاف روايتي ، سأترك لكم دعائي عند الله.

@ جميع الحقوق محفوظة 2021/2020

إهداء :

إِلَى أُولَئكَ الذِّينَ أَنْقَذْناهم يَومًا مِن حافَةِ الضَيَاع وأمْسَكْنا بِهِم جيدًا حتَّى لا يقعُوا في القَاع ثم دَفعُونا إلى الأسفلِ بكلِّ ما يَملِكونَ مِن حُب ، عفوًا ! بكلِّ ما يملكونَ من قوَّة !

"تخطينا يا أعزائي لم تعد الحافة تُخيفنا"

الفهرس:

شكر:.....2

مقدمة:.....5

الفصل الأول : بعدَ خمسِ سنوات.....8

الفصل الثاني : تركتُ أختي.....54

الفصل الثالث: سأتخلّى أنا أيضا 69

الفصل الرابع: في القاع 90

الفصل الخامس: وجدتُ قلبي.....114

مقدمة:

لم تكن الحياةُ معنا يومًا ما مطلقًا ،كانت دائمًا ضدنا تُحاربنا وتدفعنا إلى قاعها بشدة ، ورغم أننا لم نفعل لها شيئًا إلا أنها كانت جدُّ قاسيةٍ معنا لم ترحمنا و بقدر حبنا لها صدمتنا قوةُ الدَّفعةِ من الأعلى إلى ظلام المجهول . منا من ينهضُ ويتحدى ويواصلُ رغم الكُسورِ التي نذبتها له ومنا من يفضلُ البقاءَ تحت الركامِ ينتظر أن تهُبّ عليه رحمةُ الله وترقِد جثته تحت التراب.

و يحدثُ أن يفْقِد الإنسان نفسه فيُفَقد للأبد . . لم نكن نتوقع أن التخلي جروحه لا يمكنُ أن تُشفى لقد ظلت دائمًا تنزف ألمًا حادًا .. تَعْبُر أشواكًا بين الشرايين ، وتُمْسكُ القلبَ وتَغْرِزُ سُمّها هناك ، لقد تدرب القلبُ وأصبح راقصًا جيدا ، علمته تلك الخيبات كيف يرقصُ على موسيقاها ، علمته كيف لا يخونُها يوما معلنًا رقصاته للفرح أو الحبّ أيضًا...

لقد وجَدْنا الجميع ولكن من سيَجِدنا نحن ؟! نحنُ الذين تُرِكنا نتخبط وحدنا في المنتصف ، فلا العودة تنفع ولا التقدم أيضا من سيعثرُ علينا في ضياعنا ! في توْهِنا ! نحن الذين استصعبنا أن نَترك يدًا أمسكت بنا هي أولا ..

نحنُ الذين عالجنا جِراح كلّ من التجأوا إلينا .. نحن الذين تمسكنا وكان من الصّعب علينا أن نتخلى... هل حقا كان من السهلِ التخلي عنا !

لم نُرِد شيئًا من الحياةِ بقدر ما أردنا أن نكون بخير فقط ، ولكنها بالغت في فهمها واتجهت إلى ما تحت الحروفِ وقرأت :

أهديكِ قلبي فاقتليه بخيباتكِ و آوابدك.

فلا علاقة للأيام بنضجنا، نحنُ نكبر بمرور الناس في حياتنا .. بمرور خيانتهم في دمنا ، بمرور كذبهم في عروقنا .. بمرور هواءِ خبثهم في رئتَيْنا .. نحن لسنا شخصًا واحدًا ، بل مزيجٌ من أشخاصٍ انكسرت في كلِّ أرضٍ روحٌ منهم فاجتمعوا في جسدٍ واحد .

خيانة : وتسقطُ روحٌ تخشى أن تثقَ أبدًا وتبقى !

كذب : وتسقطُ روحٌ تخشى أن تصدِّق مجددًا وتبقى !

استهزاء : وتسقطُ روحٌ تخشى أن تعيش مجددًا وتبقى!

خيبة : وتسقطُ روحٌ تخشى أن تواجهَ من جديد وتبقى!

روح : وتسقط روحٌ بين الأرواحِ بعد انطفائها ولا تشتعلُ فُتَيْلات قلبها من جديد وتبقى !

وهكذا حتى تجتمعَ عوالقُ الأرواحِ المنكسرةِ في جسدٍ تحكمه كل هذه الانكسارات التي تسمى في عالمي شخصية !!

لا أحد سيحبكَ وأنت منطفئ ، تذكر هذا وإن صادفت حبًا كهذا في الألفِ كرهٍ فلا تُمسك بيده جيدا حتى تتأكد من أنه لن يفلتك عندما تصل إلى

منتصف الهاوية . وليسَ كل حبٍ حبٌ ، فالحبُ الحقيقي ذاك الذي يطرقُ أبوابَ قلُوبنا حلالا وما غيرُ ذلك فهو خبثٌ والسَلاّم .

أن لا نهون ، أن نُحْترم ، أن تكون لنا معزَّة في قلوبهم، أن نُحْترم أيضا ، أن نُتَقَّبَل كما تقَبّلنا نحنُ أنفسنا ، أن نُحَبَّ كما أحببنا نحن عيوبنا ،أن نكون بيتاً لبعضنا البعض فتسكنُ أرواحنا لأنفسنا وفقط و دائما، أن نُكمل معا رحلةَ حبٍّ جميلة تبدأ على الأرض وتكتمل في الجنة والأهم أن نُحَتَرم ، كلماتٌ سَطِّرْ عليها يا من تقرأ فهي مبادئ الحب الحلال الذي لم تعرفه بعد .

الفصل الأول:

بعدَ خمسِ سنوات . . .

توالتِ الخيباتُ على قلبي واحدةً تلو الأخرى ، لم تترك الدنيا شيء إلا و أصابتني به ، أذكرُ جيدًا أنه هنالك عبارةً قرأتها في مكانٍ ما رسِخت في ذهني كما يُنْقَشُ على الصخرِ بشيء حاد ، كنتُ جُلَّ ما أتوقف على شاطئها والخوفُ يصرخُ داخلي من أن أَغرقَ ذات يومٍ فيها وفيما ما تحمله من معانٍ "سيبقى الإنسانُ دائمًا خائفًا من أن يخسرَ ما يحبه إلى أن يخسره ويَفقد خوفه " كنتُ دائما أفكر فيها أعلّقُ حبلا على هذه العبارة و أجلس تحت شجرةِ الشك ، آكُلُ تفاحًا شنقته ديدانُ الأسئلة، ماذا لو فقدتُ أمي ! ماذا لو استيقظتُ ذات يومٍ صباحًا ولم أجد أبي ؟ ماذا لو تركني كل من أحب و بقيت وحدي ! ماذا لو لم أجد من يحبني من أعماق فؤاده!! . . كنتُ غبيةً عندما كنت أنشرُ سُمًا في عقلي بأفكاري الغريبة ثم في لحظةٍ ما أفيقُ من تفكيري وألعنُ نفسي عندما أتذكرُ أن عبارةً هي الأخرى وقفت ضد العبارةِ الأولى في محكمةِ الحياة وفازت هي بالحكم " كلُّ متوقع آتٍ " أمسحُ سحابةَ تفكيري وأنا غاضبةٌ من نفسي ثم لا ألبثُ أن أصبّ غضبي إلا و أعلنته حربًا على كل من أجده في طريقي ، لم أعد أغضبُ الآن ..نعم ولم أعد أخافُ أيضًا ، لقد خسرتُ كلَّ ما أحبه .

وَضَعتْ نقطة النهاية وأغلقتْ دفترها الأسود و الماضي يرسمُ لها صورته التي جعلتها تغيبُ عن الواقعِ لحظاتٍ قبل أن ينبهها الجرسُ ويعلنَ عن نهايةِ الاستراحة ، أخفته وقلمُ الحِبر الأسودِ في حقيبتها ونهضت مسرعةً تنفضُ غبارَ أفكارها وتعدلُ ياقةَ مئزرها ..

كانتِ الساعةُ تشير إلى التاسعةِ وعشرةِ دقائق عندما جاءت أصواتُ الركضِ والصراخِ والضحكِ كلها دفعةً واحدةً و كأنها حربٌ بريئةٌ أبطالها أطفالٌ لا يعرفونَ عن خيباتِ الدنيا شيء سوى قد سرق محمد قلمي و نهى تسخرُ من رسمتي ... من الجميلِ أن نبقى أطفالا ، لا نكبرُ ولا تَكبرُ طيبتنا معنا ولا حتى براءتنا، من الجميلِ أن نبقى أطفالاً لا نحزنُ ولا يُحزننا من نحب ..

- بهدوءٍ يا أطفال ، لا تركضوا ،.. أحمد ، لجين قلت لكم لا تركضوا ..

أحمد : حسنا معلمتي ..

- اجلسوا أماكنكم يا أطفالي ، سنرسمُ معًا الآن أخرجوا دفاتركم وألوانكم ودعونا نبدأ جميعًا معًا سآتي لتفقدكم الآن هيَّا .. هيَّا يا أطفالي ..

أخرجَ جميع من في الصَّف دفاترَ رسمهم وعرضوا ألوانهم على الطاولاتِ وقد كانت أصواتُ حماسهم تصل إلى آخر الرواق ، بدأت تتفحصهم واحدًا واحدًا ولكنها توقفت عند طاولةِ ليان التي كانت نائمةً عليها وجسدُها يهتزُ بشكلٍ غريبٍ ، انحنت بشكلٍ لطيفٍ ومسحت على رأسها بحنو و بصوتٍ رقيق دافئ قالت : ما بها صغيرتي ليان؟! ما الخطبُ يا عزيزتي!

رفعت ليان رأسها قليلاً و حباتُ الدمعِ تتسابقُ على خديها اللتينِ إحمرتينِ من البكاءِ ، نظرتْ إلى مُعلمتها بعيونها الخضراء و الانكسارُ يُمليهما حزنًا ، لم تستطع أن تَنْطقَ بحرفٍ واحد كلما حاولت أن تتكلم زادت حدةُ بكائها ، أمسكتْ يد ليان الصغيرة بودٍ ومسحت على رأسها ، وقالت لها تعالي معي يا عزيزتي وتقدمتْ بضعَ خطواتٍ وقبل أن تصل إلى بابِ الصف استدارت

نحو تلاميذها وقالت بنبرةٍ صارمة: رجاءًا هدوء ، لا تُسْمعُ أصواتكم بتاتًا ، سأعودُ حالاً..

أغلقت الباب واتجهت نحو المغاسلِ وهي تحاولُ تهدئةِ ليان ، وبعد أن أصحبت أفضل مما كانت عليه أعادت طرح سؤالها : ما بكِ يا ليان ، ما الأمر ؟!

أنزلت ليان رأسها بخجلٍ نحو الأرض وشبكت أصابعها وأخرجت الحروف من فمها بتأتأة توحي بترددها في الكلام : ا ا ا انا ااا انا ، أمسكت كفيها الصغيرتين ورفعت رأسها وحركته نحو الأمام كإشارةٍ لتكمل كلامها وتُخرج تلك الكلماتِ العالقةِ داخلها : معلمتي أنا لا أملكُ دفتر الرسم خاصتي ، وألواني انتهت .. أخبرتُ أمي ولكنها لم تفعل شيئا فقط رأيتُ حزنا كبيرا على وجهها يا معلمتي ، سيسخر مني الجميع الآن .

نظرت ليان إلى الأرضِ مجددًا محاولةً إبعاد نظرها عن عِيني معلمتها التي تجمدت للحظة وكأنها تعثرت في الماضي متذكرةً كيف كان يسخر منها زملاؤها على ملابسها وحقيبتها البالية و كيف كانت تبكي كل يوم من كلام أقرانها فقط لأنها ولدت فقيرة ، ابتسمت لها وأخبرتها بإنها ستحلُ الأمر :

- ليان يا صغيرتي عودي إلى صفكِ الآن سألْحقُ بكِ حالا .

عادت ليان إلى الصف فيما نهضت معلمتها واتجهت نحو الحارس و أخرجت نقودًا من جيب مئزرها ، تاهت وهي تنظر إلى يدها وغصةٌ تذبحُ حلقها كانت هذه هي آخر النقود التي تبقت بصحبتها و سيكون من الصعب العثور على مبلغ صغير لتكمل به بقية الشهر حتى موعد الدفع ، ابتلعت ريقها و

استجمعت كلماتها وطلبت من الحارس أن يشتري دفترَ رسمٍ وأقلامَ تلوينٍ ، فوضعُ والدي ليان لا يسمح لهما حتى بشراء خبز اليوم . هكذا هو القدر لم يمنحنا كل ما نريد ولكن الرضا بما نملك كافٍ لنواصل حياتنا على نحوٍ ما .

تواصلت ساعاتُ النهارِ في الانقضاء سَاعةً تِلْو الأخرى .. الساعةُ تشيرُ إلى الرابعةِ مساءًا ..إنه وقتُ الانصراف ، أخرجت هاتفها تفحصته فوجدت رسالتيِن وصَلتَاها بينما كانت في الدرس ولكنها لم تلاحظهما لأنها تضعُ الوضعَ الصامتَ دائمًا لهاتفها فراحةُ الإنسانِ بعدما يفقدُ الكثيرَ من الأشياءِ أهَمّ بكثيرٍ من كلّ الأشياءِ التي تبقت ، هكذا كانت تعتقدُ هي . بوجهٍ باردٍ لا يبدي أي ردةَ فعلِ نظرت إلى الاسم جيدًا و تفوهت باسمهِ دون أن تدري "سيمان" فتحتهما:

«عودي للبيت وحدكِ ، لن آتي لأخذكِ ، أنا مشغول»

ورسالةٌ أخرى من سيمان أيضًا : « آه تذكرت لا تتصلي بي وجهزي نفسكِ ، نحن مدعون للعشاء عند أهلي ، سأمرُ على الساعة 19:00 »

أغلقتِ الهاتف قائلة في داخلها : يا له من متعجرف و مغرور وأحمقٌ أيضا.. ولكنها لم تغضب قط ،لأنّ الإنسان قد يصادفُ و يمنحُ نفسه مرة لأشخاصٍ خطأ ينتزعونَ منه ومنا كل شيء ..أحلامنا.. ضَحكاتنا .. سعادتنا .. خوفنا وغضبنا أيضا و أن يَفقِد الإنسانُ غضبه يعني أنه خَسِر حربًا كبيرةً لم يفْقد فيها شيئا بقدر فقدانه لنفسه.

بعد ساعةٍ إلا عشرُ دقائقَ وصلتِ البيتَ منهكةً جدًا من التعبِ وقد آكل الحذاءُ قدمها الصغيرَ ذاك ، خلعتهُ وهي متذمرةٌ من الحالِ الذي وصلت إليه، لعنت نفسها ألفاً ولعنت أخاها ذاك ما لا نهاية ، جلست على الأرضِ في مدخلِ البيتِ واتخذت من رُكْبَتيْها وسادةً لرأسها ، تكورت على نفسها وذابت حُبَيْبَاتُ قلبها من عينها ، بكت طويلاً حتى انقطع نفسها ذاك، لم تستطع السباحةَ في موجةِ الحزنِ تلك غَرِقت منذ زمنٍ بعيدٍ .. لامست روحها القاع وبقيت هناك في الظلام ، ولم تُمسكها يدٌ ولم تبحث عنها روحٌ . . .

-من هذا الرجل ولماذا يمسكُ بكَ رجاله؟ ماذا فعلتَ أنت!

-لا تسألي كثيرا ، لم أتورط وحدي ، أنتِ معي.

-كيف ذلك ، بما تورطتُ أنا ، وأنا التي تخافُ أن تدوس على الأرض فتوجعها؟!

-تورطنا وانتهى والحل عند هذا ...

قال ذلك الرجل : لا يوجد أيّ حل عندي سوى أنني سأتصل بالشرطة وتعفنا في السجن أنتِ وهو ...

كانت هذه الذكرى محفورةً في أعماق قلبها ، فلا انمحت أو حتى زالت ، ففي النهاية كان الحفارُ أخوها ... من الغريبِ أن يضحي بنا من ضحينا لأجله.. من الغريب أن يُضرنا قريب . . أن يهدينا رصاصةً من الأوجاعِ التي لا تُنسى و الأغربُ من ذلك أن تكونانِ تنتميان إلى رحمٍ واحد.

مسحت دمعها ووضعت يدها على قلبها كمن يريدُ أن ينتزع شيئًا بقوة ونهضت متجهةً إلى غرفتها الجديدة، فتحت الخزانة لم تبحث طويلا أخرجت أول فستانٍ وقعت عيناها عليه ، وضعته على السرير و أفرغت ما بحقيبةِ يدها تاركةً أشيائها الأخرى على الطاولة وأخذت علبةَ الدواء التي تخفيها جيدا بين أشيائها ثم اتجهت نحو المطبخ فوجدته كما تُرِك صباحاً رتبته ثم حضرت لنفسها ما يؤكل ، كانت جائعةً جدا لم يمر من حلقها سوى الماء طِوالَ ساعاتِ العمل ، انشغل تفكيرها في النقود التي انتهت من أين ستأتي بهم لتواصل يومياتها حتى موعد الدفع . . تعكر مزاجها كثيرا .. كيف ستدفع ذلك الدين الكبير مع مصاريفها ومصاريف العلاج التي بدأت تتراكم عليها !

ارتشفت دواءها وعادت إلى الغرفة ، ارتدت فستانها الذي ينتهي بربطةٍ أنيقةٍ على ظهره تمتد إلى أسفل خِصرها ،مزينٍ بقفيلاتٍ في آخر الذراع على شكل ريشةٍ رقيقة ذات لون ذهبي، عدلت خمارها الأسود .. لم تضع الكثير من مساحيق التجميل ، اكتفت فقط بكحل العين وأحمر شفاهٍ بلون وردي فاتح جدا يناسب بشرتها البيضاء ،وضعت إسوارا رقيقا على معصمها وساعتها التي أهدتها لها صديقتها ياسمين وباتت لا تفارقها ، ولبِست خاتم موتها ذاك وارتدت كعبا أسود ليس بعالٍ كثيرا ، ورغم بساطةِ تزينها إلا أنها أصبحت فاتنةً بشكل لا يوصف ..هي لا تحب كل هذا التزين رغم بساطته ولكن كيف سيقولُ أهله عن عروسهم التي تهملُ مظهرها منذ يومها الأول ! في الحقيقة لا يُهمها أيضا ما سيقولون عنها ولكنها مجبرةٌ على تحمل أخطاء أخيها الذي ترك يدها في الوحل وغادر.

لم يولدِ الجميعُ بنفس الحظوظ .. فالبعض تمنحه الحياة كل ما يريد دون أن يشقى و دون أن يكون للتعب نصيب فقط حظٌ جميلٌ والبعضُ تبصقُ في وجهه واقعا مريرا تخجل حتى من أن تسميه واقع.

استيقظ صباحًا على العاشرة وتسع دقائق على رنين هاتفه ، أطفأه ثم تقلب على الجهةِ الأخرى وهو منزعجٌ جدا و لكن كان للهاتف رأيٌ آخر إذ يبدو أن المتصلَ شخص عنيدٌ ومزعجٌ أيضا، رد على الاتصال فآتاه صوتُ صديقه معتز مهلّلا فرحا ..

- أحلى صباح لأحلى عريس ..

رد عليه وهو يتثاءبُ مستلقيًا على ظهره فاركا لشعره بأصابعه : وهل من يستيقظ على صوتك سيجدُ صباحا جميلا !

جاءت قهقهات معتز مدوية فأصَمّت أذنه وكردةِ فعل أبعد الهاتف عنه مكشرًا، رادا ضحكةً على ضحكةِ رفيقه :

- معتز سنلتقي بعد ساعة هيا الآن مع السلامة ..

- هااي انتظر... انتظر نلتقي ماذا! وعروسكَ يا أحمق؟

- أنت تعلم جدا سبب هذا الزفاف الغير مرغوب فيه، والله لولا خوفي من خسارةِ عائلتي فلن أكترث حتى لمَ كان سيصيبها سوآءا هي أو حتى أخوها المغفل فلا تناقشني رجاءا .. لم أخترها بنفسي أجبرت عليها ..

وضع الهاتف جانبا و غاص تفكيره في زفافه السريع الذي حدث بين ليلة ونهارها وبدأ عقله يستحضرُ له صورتها البارحة وكم كانت جميلةً جدا بثوب الزفافِ الأبيضِ وقصة الشعر المنفوخة من الوراء وبعضُ الشُعيراتُ المتمردةِ على وجهها، فقط كانت تنقصها لمعةُ الفرح في عينيها رغم محاولاتها في رسم ابتسامةٍ مزيفة.. تأفف من نفسه ومن تفكيره المفاجئ فيها ونهض يجر أقدامه نحو الباب ، توقف للحظة متذكرا بأنه لم يرتدي قميصه محدثا نفسه : كيف لي أن أعتاد على عادات جديدة الآن.. ، ثم أعدل عن فكرته وخرج بدون قميصه قائلا في نفسه : لن أُغير نفسي من أجل أحد ، الجميع مجبرون على التأقلم رغم أنفهم المنزل منزلي كان يقصدها بالجميع فلا أحد سواهما سيقطن في هذا البيت ..

كان البيت هادئا جدا و كانت نظراته خائنة تبحثُ عنها هنا هناك مر ببابِ غرفتها فوضع رأسهُ على الباب لعله يسمع صوتها ، طرقَ خفيفًا وعندما لم يأته صوتها فتحه ودخل ؛ كان فضوليا جدا لا يحترم خصوصيات الغير كل ما يهمه هو نفسه .. وجد الغرفةَ مرتبة وحقائبها الفارغة موضوعة على الأرض جانبا، اتجه نحو المطبخ وجد الطاولة جاهزة ، أو بالأحرى كما جهزتها والدته يوم العرس ، رأى ملاحظةً ما معلقة على الثلاجة أمسكها وقال: مغفلة من ذا الذي مازال يترك ملاحظاته على الثلاجة، تمعن مع خطها الرقيق الجميل وكلماتها المصطفة بإتقان ثم قرأ بدهشة :" أعلم أننا اتفقنا على زواجنا التمثيلي وبأنك أنت من ستأخذني إلى المدرسة صباحا وتعيدني مساءا لبعد المسافة بينها وبين البيت مقابل واجباتي المنزلية ولكن لم أرد إزعاجك صباحا، شكرا نفذ اتفاقك ابتداءا من المساء" .

ضحك من أعماق قلبه على رسالتها و السخريةُ مرسومةٌ على وجهه وهو يردد حمقاء.. حمقاء ، سأريك ماذا سأفعل ..مغفلة ، وكأنني ميتٌ عليكِ حتى أصبح سائقك الخاص ، تعلمي كيف تعودي للبيت وحدك إذا.

في هذا القفص الصغير الذي نعيش فيه ، في هذه الحياة بالضبط قد لا يدرك المرء ما يعيشه غيره من آلام و من أحزان وحتى تلك التقلبات التي تعيش بداخلنا لا أحد يستطيع معرفةَ شعورها فخلفنا تماما شخص لا أحد يعرفُ عنه ذرة خرذل فوراء كل إنسان إنسانٌ آخر لا أحد يعرفه.

جهز نفسه بعناية ، رش عطره وأمسك مفاتيح سيارته وخرج للقاء معتز الذي كان ينتظره في أحد المقاهي، تعانقا خفيفا ثم جلسا يتحدثان ..

- لقد أصبحت متزوجا يا صاح مرفقا إياها بابتسامة عذبة.

- العاقبة لك يا معتز ولكن مع من تحب ومن تختارها أنت (قالها بانكسار وهو يعبث بمفاتيح السيارة)

- ألا تلاحظ بأنك تكابرُ كثيرا ، ما بها الفتاة ؟ جميلة، مثقفة ، محجبة وتبدو هادئة أيضا ناهيك عن ما لا تعرفه عنها من صفات .

- تغيرت نبرته إلى الغضب نوعا ما وقال : ألا ولا تدري أنك تتحدث عن زوجةِ رَجلٍ ما !

- ضحك معتز وقال ها قد بدأت الغيرة فماذا بعد هذا !

-أمزح وفقط يا معتز أعلم أنك أخي وأنك آخر شخص يحاول أن يطعنني حتى وإن كنت لا أعرفها ولا أحبها فهي تحمل إسمي الآن إلى أن نتطلق ويذهب كل في طريقه.

معتز : أنا أسأل نفسي الآن ، منذ جلوسك هنا وأنا أنتظر منك تفسيرا ولكن عقلك لا يشتغل ماذا نفعل سنسألُ إذا ، لمَ تركتها وحدها منذ أول يوم ؟

ضحك كثيرا حتى دمعت عيناه وقال ممثلا الحزن على وجهه : يا حبيبي لقد تركتني هي .. عندما استيقظت وجدتُ نفسي وحدي في البيت خرجت وأخذت مفتاحا احتياطيا ..حتى وتركت لي ملاحظة على الثلاجة .

غاص في تفكير عميق بينما كان معتز يتحدث عن العرس وكيف مضى وفي منتصفِ رحلته التفكيرية صاح عقله محدثاً إياه : لماذا تفكر فيها هي مجرد غبية محتالة ؟! سأريها ماذا يعني أن تتأمر على " سيمان صبراوي" . . .

حك رأسه بخفةٍ وأمسك هاتفه وبحث عن اسمها وكتب لها رسالةً ما وأطلق ضحكةً خبيثة و في تلك الأثناء اتصلت والدته و دعته للعشاء ليلا هو وزوجته، قَبِل دعوتها وبعث برسالة أخرى لها يخبرها بأن تجهز نفسها مساءا. ثم نهض مع معتز بعدما تناولا الغداء واتجها يتجولان في الأطراف.

القدرُ قادرٌ على كل شيء كأن يجمع شخصين من العالم لم يَكونان يعلمان بوجود بعضهما من قبل، تحت سقف واحد بين ليلة وضحاها و دون أن ندري كيف حدث ذلك . . القدر عجيب ، عجيبٌ جداً!

دخل إلى المنزل متسللا دون أن يصدر صوتا ، كانت عاداته الغريبة تنمو يوما بعد يوم سمع صوتها يأتي من بعيد ربما تتحدث على الهاتف ، تقدم خطوتين ووقف قريبا من غرفتها حتى يسمع ما تسنى له ..

كانت هي جالسة على طرف السرير تنظر إلى ساعة يدها وتحدث صديقتها على الهاتف :

- حقا آسفة جدا يا ياسمين ولكن لم أجد حلا ، عَجِزتْ لم تعدْ لدي القدرةُ على التفكير أخبرتُ نفسي بأن كل شيء سيصبحُ جميلا ذات يوم ولكنني خدعت فقط نفسي (رافقت كلماتها الأخيرة بحة بكاء وقُطيراتُ ندى نزلت من عينيها)

- مياسين عزيزتي لا تبكي أنا دائما بجانبك حتى وإن كنا بعيدتين فقلبي معكِ دوما ولا تقلقي سَيكون كل شيء على ما يرام صحيح أننا نحزن ، نتعب وحتى أننا نستسلمُ أحيانا ولكن يجب علينا دائما أن نترك الأمل يعيشُ حياً بقلوبنا، لأننا إذا فقدنا الأمل فقدنا الحياةَ بأكملها.

- أخرجت حروف اسم صديقتها بصعوبة وقالت لا يمكن سئمت ، كأنني أدفع ثمنَ ذنبٍ لم أقترفه ولم أعرف ما هو ، تقطعت في حديثها بسبب تلك الغصة التي نمت أشواكا في حلقها وأضافت :ليس من السهل أن تتراكم كل الأحزان على قلبي في مدة واحدة قدرت بخمس سنوات ، انهزامات متتالية والأكثر ألما أن نفسي خَسرت كثيرا حتى نفسها . تداركت نفسها وتوقفت عما تفعل وعما تحكي بعدما أقنعها عقلها أن الشكوى لغير الله مذلّة استجمعت نفسها سريعا ثم شكرت ياسمين على السلفية وسألتها عن موعد لقائهم ، لقد طال الشوق بينهما كثيرا .

سمع كل ما قالت وكل ما روته لها عن يومها كيف مضى وكيف عادت للبيت مشيا لمدة خمسين دقيقة وللحظةٍ ما شعر بأنه السبب فيما هي الآن لأنه لم يذهب ليأخذها من المدرسة وبدت له أنّ هنالك أشياءٌ كثيرة مسجونة داخلها، تنحنح خفيفا كي يعطيها إشارة على أنه قد جاء ، أغلقت المكالمة مع صديقتها سريعا ، دق خفيفا على باب غرفتها المفتوح رآها جالسة على طرفِ السرير والهاتف في يدها ، نظر بإعجابٍ لها ، لقد كانت فاتنة جداً بالأسود لدرجة أنَّ غَابُ عيناه تاهت في عسلِ عيناها الممزوج بالنعناع ولكنها أيقظته من غفلته تلك عندما تحركت، فارتبك كثيرا وبانت على وجهه علامات الإحراج ولينقذ الموقف خرج مسرعا تاركا صوته الرخم خلفه: هيا بنا.

- لا تنسي أننا سنمثل السعادة أمام عائلتي وأتمنى أن لا تحرجيني بتصرفاتك أمامهم ، كذلك لا تتحدثي كثيرا ولا تكوّني صداقاتٍ معهم ، فأيامنا معدودة كما تعلمين (قالها بغرور ناظرا بطرف عينه لها)

لم ترد عليه ،كانت تفضل الصمت على أن تحادث غريبا عنها، أعاد تكرار الجملة عليها مرة أخرى فهزت رأسها بالإيجاب دون أن تتكلم أو حتى تنظر باتجاهه ولكنه أطلق موجةً نارية من الغضبِ عليها : هل أنتِ صماءٌ أم ماذا؟

لم تجب مرةً أخرى فزاد غضبه عن ذي قبل وزاد في السرعة دون أن يدري كتعبير لا إراديّ عن غضبه الشديد وكلما داس على الفرامل أحسَّت بأن الدنيا تدور بها أكثر لدرجة أنها لم تستطع إخراج كلماتها لتخبره بأن يقلل من سرعته ، ودخلت في نوبة هيستيرية تحاول نزع حزام الآمن وهي لا تدري وتضرب قلبها بشدة كمن يريد التخلص من شيء يؤلمه فيما زادت سرعة تنفسها ، ومطر عينيها ينزل غزيرا ، تفاجئ من ردةِ فعلها فقلل سرعته وهو ينادي عليها وهي لا تستجيب لم يعرف ما يفعل ، فلم يصادف شيئا من هذا القبيل من قبل ..

يقول : كنا في السيارة أردت أن أكسر الجو المتكهربِ بيننا فحاولتُ أن أخلق حديثًا ما خصوصا بعدما سمعت مكالمتها تلك ، لكنها لم ترد علي واكتفت بالصمت ، لو كانت تعرفني جيدا لأدركت أن كلامي لا يبقى ناقصًا وأني لا أحبُ أن يتجاهلني أحدٌ ما ، كررت سؤالي مرة أخرى ولكن صمتها استفزني فزدت من سرعة السيارة دون أن أعي ذلك ، وفي كل مرة أدوس أكثر ، لم أدري ما فعلت إلا عندما جاءني صوت شهيقها وزفيرها المتقطع ، نظرت إليها

فوجدتها تضرب صدرها جهة قلبها بيد ، واليد الآخر كانت تحاول أن تنزع به حزام الأمان ، كانت في حالةٍ يرثى لها ، وجهها شاحب ودموعها تنزل بلا توقف، ناديتها باسمها لكنها لم تستجب لم أدري ما أفعل فهذه هي المرة الأولى التي أشهد فيها حادثة كهذه .. أوقفت السيارة جانبا ونزلت أتفقدها من الجهة الأخرى ، فتحت الباب وأزلت حزام الأمان وأنا أنادي عليها مياسين ، مياسين.. لكنها لم تستجب وظلت على حالها تبكي وتضرب قلبها ، أمسكت يديها حتى أهدئها فهي تؤذي نفسها أكثر بضرباتها القوية تلك على قلبها ، أسندتها علي وحاولت وضعها في موضع يمكنها أن تستنشق الهواء جيدا منه ، جلبت ماءاً ووضعتُ القليل على وجهها ، رأيتُ أنها بدأت تهدأ، فقرأتُ عليها آياتٍ من القرآن لعلها تسكن وتستكين .

هي تحكي:

كنا في السيارة و كان صمتُنا يتكلم ، كنا نسمعُ فقط صوتَ دوي السيارة وصوت أنفاسنا المضطرب إلى أن كسر هو هذا الصمت وحاول أن يتحدث معي أو بالأحرى إهانتي بكلماته لكنني اكتفيت بالصمت ، غادرتني رغبتي في الحديث منذ زمن ، أجهضتني هي لا أنا ، لم أعد أطيق أي حديثٍ ما ولا حتى الدفاع عن نفسي فقط الأطفال من أجدُ راحتي عندما أحادثهم ، ربما عدم إجابتي له جعلته يزيدُ في السرعة تدريجا ، وكانت تلك (السرعة) من بين ما بقي عالقًا بداخلي ولم أستطع أن أتجاوزه وأصبحت حالتي النفسية تتغير دون أن أدري ما يحدث ، ليس خوفا ولكنه شعورٌ قاسٍ ، كنتُ أريد أن أنتزع من قلبي صورة ذلك الحادث الذي لم أقدر على تجاوز شيء منه واللهِ كأنهم

حملوا جسدي وتركوا روحي جريحةً على الأرض .. كنت أشعر بدوارٍ مميت ، ودون أن أدري فقدتُ السيطرة على التحكم في تنفسي فصار الهواء يخنقني، أحاول أن أستنشقه فلا أجده ، فأزيد من محاولتي .. لم أعي ما حدث بعد ذلك فلم أسمعه ولم أدري كيف أوقف السيارة ولكني فقط شعرت عندما رش وجهي بالماء ثم جاءت إلى أنفي رائحة عطره ثم سمعت صوته ربما قرأ بعضاً من آيات القرآن علي حتى بدأت روحي ترجع وترجع قليلا .

بعدما انتهى من قراءة القرآن ناداها مرة أخرى فحركت رأسها دليلا على استجابتها : مياسين هل أنتِ بخير ؟!

أومأت برأسها وحاولت أن تنهض لتمشي قليلا فأمسك بها حتى لا تقع ، أبعدته عنه وقالت : أريد أن أمشي قليلا إن كان ممكنا !

أمسكها من ذراعها برفق وقال رافضا : لا سنذهب إلى المستشفى حالا لستِ بخير مطلقا وجهك أصفر وأطرافك ترتعش .

شعرت بدوارٍ شديد في رأسها ولولا أنه كان ممسكا بها لوقعت أرضا ، تمسكت به وقالت بأنها تريد القليل من الماء وستتحسن حالا ، بعدما شرِبت الماء تركها في السيارة وذهب إلى البقالة واشترى لها بعض الحلويات والشكولاتة حتى ترفع سكرياتها ، أما هي فضمت نفسها بيديها وجلست تبكي بصمت .. لماذا لم أستطع تجاوز ذلك الحادث ؟ هل ضعيفةٌ أنا لهذه الدرجة ! والكثير من التساؤلات التي تطرح نفسها بنفسها .. رأته عائدا من بعيد وبيده كيسٌ ما فمسحت دموعها بسرعة حتى لا يرى أنها لازلت في حالة هلعها تلك..

- تفضلي كلي بعض السكريات حتى تتحسن حالتك.
- لا أريد الآن شكرا ، فقط أريد أن أمشي قليلا.
- كيف ستمشين والسكر منخفضٌ في دمك ! لا تغضبيني رجاءا

..وفتح لها علبة الشكولاتة ..كادت لا تمسكها ولكن نظرته الصارمة جعلتها تغير رأيها ، قسمتها إلى النصف ومدت له بنصف ، أعادها لها قائلا: اشتريتها لك وليس لي ..

لم تكترث لرده بل وضعت النصف في يديه وأولته ظهرها حتى لا يعترض .. ابتسم خفيفا على فعلتها هذه ثم قال : حسنا اجلسي هنا حتى تكملي ذلك النصف ..

قالت: رجاءا أريد أن أمشي قليلا ، لعلني أتنفسُ هواءا ينعش قلبي..

- حاول أن يعترض ولكن إصرارها جعله يوافق على ذلك.

مشت قبله بخطواتٍ متباطئة وعيناها تروي حزنًا على قلبٍ احترقت أرضه ولم تمطر عليه قطراتُ الفرح قط ، تركها تمشي أمامه وأثقل من خطواته ، كان يسير وراءها وهو يترقبُها بشدة خوفًا عليها من أنْ تسقطَ من جديد وفكره ينبش عن هذه الغريبة وطباعها الأغرب منها. لاحظ نظراتِ المارينَ لها ، وبدأتْ أذنه تسمعُ تغزلاتهم بها فأسرع في خطاه وأمسك يدها ، نظرت إليه والدهشةُ تسكنُ ملامح وجهها أجابها مرتبكا وقبل أن تستفسر: لكي لا يتغزل بكِ أحد وصمت .

أبعدتْ يدها سريعا عنه واتجهت إلى أحدِ المقاعدِ جلست وكتفت يديها حول بعضهما البعض ، جر قدميه جرًا وجلس قريبا منها تفصله عنها مسافة معينة وقال : هل أنتِ بخير ؟!

ردت بانكسار : صِدقاً لستُ بخير ولكنني سأحتفظ بالسبب لنفسي وفقط.

حاول أن يجد كلماتٍ يتحدثَ بها لكن أحرفهُ ضاعت في داخله وتفرقت وعقدت لسانه ، فصمتَ يستمعُ إلى صمتها ولكن عادَ سريعا وطرح سؤاله عليها :

-هل أتصل بأخيك ؟ ربما أنت بحاجة إليه !

أجابته : لا تتصل ، لو كان سيفكر بي لما خدعني ، لما زوجني من رجلٍ لا يعرفه حتى ، لما تركني كل ذلك الوقت .

رد عليها بتفهم : غريبةٌ الدنيا حقا !

كادت تصمت ولكنها قالت : لم تكن الدنيا غريبةً يومًا وإنما من عرفناهم وعشنا معهم ومن أحببناهم صدقا هم الغرباء.

حاول أن يغير مجرى الحديث بعدما رأى لمعة الحزن تصرخُ بين رموشها فقال مُمازحا : لقد خربتُ لكِ كل مكياجك هل رأيتِ! (ومد لها هاتفه لتنظر إلى الكاميرا)

نظرت جيدا مع نفسها ثم ضحكت وقالت : كل الأشياءِ تخربت تبقى هو فقط فل يتخرب إذا ..

ضحكا معاً واعتلت قلبه فرحةً غريبة بعدما رأى ضحكتها لأول مرة .. كانت تشبه إشراقة الشمس بعد شتاء طويل.. بل فرحة قلبٍ بعد حزن عميق..

بعد ربع ساعةٍ عادا إلى مكان السيارة ، صعِدتْ وعدلت حزام الأمان ، ووضعت رأسها على النافذة كانت يداها متشابكتان ببعضها البعض ، أما هو فكان يبحث بداخله عن إجابة لما حدث قبل قليل ، ليس من حده أن يسألها ولا يدري كيف يعرف السبب وراء انفعالها ذاك ، شغل السيارة ليواصل طريقه وهو غارق في بحر أفكاره ، فأنقذه صوتها الرقيق بنبرةٍ حزينةٍ خَرَجت من زنزانةِ حنجرتها : أرجوك لا تسرع كثيرًا لأنني .. وصمتت ولم تزد حرفًا على آخر حرف فأوقعته في بحيرة الشك ، حاول أن يعرف السببَ حقا فقال بنبرة جادة : لأنّ مَاذا !يمكنك مشاركتي بما تخفينه داخلك ، اعتبريني صديقا لك قبل أن أكون عدوك ! لم ترُدّ عليه ولم يُرِد أن يَحْدُثَ ما حدث قبلُ بسببِ غضبه فصمت وواصل طريقه تارة ينظرُ أمامه وتارةً إليها .. بعدما تملكه شعور غريب يشبه الخوف ولكنّه ليس الخوف ، يشبه الشفقة ولكنها ليست هي .. شعورٌ ليس له اسم سوى أنه يجعله ينظر باستمرار إليها ظانا أنها قد تدخل في نوبةٍ أخرى ..

العُشّ الوحيد الذي تَجْتمعُ فيه المحبة والأمان ، الدفـُء والحنان هو العائلة .

العائلةُ غطاءُ أرواحنا.. هي من تمسكُ بنا حين نقع ، هي مدرستنا الأولى ... العائلة هي كل شيء.

في شارعٍ تملؤه الحركة والضجيج وعلى بُعدِ خمس منازل يوجد قصرٌ كبير يعود لعائلة صبراوي ، بابٌ كبير عالٍ مزخرفٌ برشاماتٍ محفورةٍ بإتقان، ممرٌ يمتد من الباب إلى ممراتٍ فرعية ، في جانب كل ممرٍ زُرِعَت كثيرٌ من الأزهارِ ذات الرائحةِ العبقةِ ، أشجار الزينةِ في صفٍ واحد في نهايتها نافورةٌ كبيرة ، المكان هنا مميزٌ جدا ، برائحتهِ ، بشكلهِ ، وكل شيء متواجدٌ فيه.

كان هذا القصر يحتوي على خمسة طوابقٍ في كل طابقٍ ستُ غرفٍ عدا الطابقُ الأرضي كان يضم صالونا كبيرا رُتِبتْ أثاثه بعناية تامة ، كان اللون الفضي هو ما يطغى عليه فقد مُزِج بعنايةٍ مع اللونِ الأسود حيث وُضِعت كنباتٌ ذات اللونين وسط الغرف مع زربية فاخرة سوداء ، مزهريات ملأتِ المكان ، ولوحاتُ قرآن مكتوبة بخطٍ فخم علقت على أغلب الحائط ويُفْصلُ هذا الصالون بستارٍ مصنوع من حبات السمسم إلى جهتين وثلاث درجات توصل للجهة السفلى ، الجهة العليا للجلوس والجهة الأخرى لتناول الطعام. طاولةٌ كبيرة تدور بها كراسي فخمة الشكل وأطباقٌ مرفوفةٌ بشكلٍ أنيقٍ ومرتبٍ على الطاولة و كانت السيدةُ رتيبة هي من أشرفت على إعداد الطعام مع خادمتيها(آسيا وجميلة)، حيث جهزت طبق الشخشوخة (أكلة شعبية

تقليدية جزائرية تشتهر بها المناطق الشرقية خصوصا قسنطينة) كطبقٍ رئيسي بالإضافة إلى العديد من الأطباق المتنوعةِ الشهيةِ .

كانت والدته ذاتُ وَقارٍ عظيمٍ ، تَأسِرُ الجميعَ بهيبتها و تَسْحَرهم بطيبةِ قلبها تداوي جِراح من لجأ إليها ، تَمتلكُ عينين كبيرتين بنيتا اللون وأنفٌ رقيقٌ و وجه دائري ، أنجبت أربعة أطفال : بهاءُ الدين ، أنور ، نرجس ، سيمان . خمسينيةُ العمر كانت بيطريةً في شبابها ، تعرفت على زوجها سعيد عندما كانت تعملُ طبيبةً لحيوانات مزرعة والده ، فَفُتن بها وأقسم أن تكون هي زوجته وإلا لن يتزوج غيرها ، وأقام حربًا على أهله حتى قبلوا أخيرا بهذه الزِّيجة..

سعيد : رجلٌ خالط الشيب سوادَ شعره على مشارف الستين كان يمتاز بخفة دمه تزوج من رتيبة بعدما أقام حربا على كل من وقف في طريقه ، عيناه خضرواتان ، طويل نوعا ما ، نحيل الجسد ، أبيض البشرة يمتلك شركات وأراضي ورثها عن والده و طور من أعماله وزاد في رزقه ، تقاعد عن العمل وترك المجال لأولاده .

بهاء الدين: أكبر أبنائهما متزوج من فدوى يعمل في شركة من شركات والده لديه برعمين التوأم (إياد و عماد) يبلغ من العمر خمسة وثلاثين سنة ، أخذ الطول من والده وعيناه من والدته، ذو حضور قوي يهابه الجميع ، عصبي بطبعه ولكنه حنون إلى أقصى درجة ، تزوج من فدوى تقليديا ثم أحبها بعد ذلك .

فدوى: تغلقُ الثلاثين في الشهر القادم قصيرةٌ جدا ممتلئةُ الجسم غيورة و حقودة تريد أن تملك قصر العائلة وحدها ..شجعة جدا و صريحة إلى درجة الوقاحة.

أنور : الابن الثاني ، متكبر ومغرور متباهي إلى أبعد حد أخذ من عيني والده النصف والنصف الآخر من أمه ، ورث الطول من والده شعره يمتزج بين اللون البني والأصفر تزوج من أسماء العام الماضي يبلغ من العمر اثنين وثلاثون عاما ، يشتغل في معرض سيارات(ملك للعائلة) لم يرزق بالأطفال رغم تردده وزوجته إلى الطبيب المختص ، وربما هذا هو سبب عدم تفاهمه معها .

أسماء : شقراء ، ذات عيون زرقاء بيضاء البشرة ، طيبة ..خفيفة الروح ، جميلة تحب أنور جدا تمنت أن تنجب طفلا منه لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . كان متفهما في البداية وغير مهتمٍ بمسألة الإنجاب ولكن مؤخرا كثرت بينهم حدة النقاشات وعدم التفاهم في هذا الموضوع.

نرجس : متخرجة من الجامعة ، مدللةُ أبويها أخذت من أنور تكبره ومن بهاء عصبيته ومن أمها قصر القامة ومن جدها زرقة العين أخدت منهم جميعهم شيئا ما عدا شخصيتها النرجسية تحب أن تمتلك كل شيء لها ولوحدها ولكن ما يميزها أنها طيبة نوعا ما رغم سذاجتها تحب أن تعيش مثل ما تريد ولا تحب من أحد أن يتدخل فيها تبلغ من العمر ثمانية وعشرون سنة ، لم يأت بعد نصيبها من الزواج .

سيمان : صغير عائلة صبراوي يصغر نرجس بعام، أخذ منهم جميعهم صفاتهم : الهيبة من بهاء والغرور من أنور من نرجس الأنانية و من أمه طيبتها وعطفها ، وأخذ من والده الحب والتسامح .

طويل ، أخضر العينين ، شعر أسود قصير محلوق بطريقة جذابة ، بدأ يشتغل مؤخرا في شركة والده .

دُقّ جرس القصر في حين كان من داخله في حالةِ حماسٍ غير معهودة كانت نرجس تعدل ياقة ثوبها وتسأل أمها إن كانت تبدو جميلة ، فيما كان بهاء الدين وأنور يقهقهان على حالة أختهما وهكذا ..الجميع يتراكضُ نحو الباب في هلع وفضول عن عروستهم الجديدة التي لم تسنح لهم فرصة لقائها عن قرب فيما قبل.

فتحت آسيا (الخادمة) الباب ورحبت بهما ، دخل هو وتبعتهُ وهي تُمسكُ طرف ثوبها تارةً وتفركُ يديها من التوتر تارةً ، وجدا الجميع واقفا في انتظارهما أمام الباب ، ارتمى سيمان في حضنِ أمه فيما بقيت مياسين واقفة لا تدري ما تفعل وكأنها تأثرت بهما وهما يعانقان بعضهما البعض ، شقت ابتسامةً حزينةً وجهها عندما تذكرت أن أمها لم تعانقها ولو لمرة في حياتها ، أيقظتها أسماء من سرحانها عندما حَيّتها سلّم الجميعُ على بعضهم ثم انتقلوا إلى غرفةِ الضيوفِ تحت ترحيباتهم الحارة .. كان الجو يفرقع سعادة في أجواءِ الحاضرين إلا هي كانت هذه الأجواء لا تناسبها تخنقها حد انقطاع الهواء كانت تشعر كأن أحدهم يَنْقُش على قلبها بإبرةٍ حادة ورغم ذلك إلا أنها

لم تُظْهِر ما تشعر به كانت ترد على أهله بطلاقة وكانتا الرقة واللطافة هما من تطغوان عليها وكان الجميع معجبا بها خصوصا أسلوب حديثها كان يجذبهم إليها عدا فدوى ونرجس اللتين كانتا تتهامسان عليها ثم تطلقان ضحكاتِ سخرية واستهزاء ولكنهما لو رأتا ما يوجد خلف هذا الجسد لأعدلتا عن غيرتهما تلك .

لاحظ "سيمان" طريقتهم الغير لائقة وتصرفاتهم اتجاهها فحاول إسكاتهم بضمها نحوه أكثر ملمحاً: في الحقيقة كل من يؤذيها سيجدني أمامه ، ولا أسمح لأيٍّ كان أن يتعدى خطوطي الحمراء وهي كل خطوطي الحمراء لذلك انتبهوا جمعيكم . (مرفقا كلماته بضحكة) سحبت نفسها بلطف دون أن تحرجه أو تلفت الانتباه إليها وفجأة ارتسمت على وجهها وردتين من الخجل وأطرقت رأسها أرضا بعدما جاءت التصفيرات والتصفيقات دفعة واحدة.

قاطعهم "السي السعيد" مبرزا إعجابه بكنته الجديدة : والله يا بني لأَنَّكَ اخترتَ بنتا رائعة وحياؤها هو أكثر ما يزينها رغم أنها جميلة جدا خَلقا وخُلقا.

خجلت "مياسين" أكثر وابتسم "سيمان" لها متمعنا في كلمات والده وتغنجت نرجس ملتصقة بوالدها أكثر وهي تقول :

- أبي هل نسيت أنني أنا ابنتك فلمَ لا تمدحني هكذا ؟

لم تعلق مياسين واكتفت بضحكة رقيقة مثلها فيما رد السي السعيد على ابنته : أو ينسى أحد قلبه ؟ هل يعقل هذا ! تعالي يا حلوتي، تعالي ..

كانت السيدة رتيبة تجلس وسط سيمان وميا‌سين وتدلل ولدها مرة و تحدث ميا‌سين مرة ، أما سيمان فكان مدهوشا منها لم يعتقد أن أسلوبها في الحوار رائع إلى هذه الدرجة ، ربما بدأت أعجب بها حقا قالها في خفائه وعيناه تلمع عندما يسرق نظراته إليها.

بدأت عملية التقديم فور ما اجتمع الكلّ حول الطاولة وكان عماد وتوأمه يركضان حول الطاولة بشكلٍ دائري وفجأة ارتطم عماد في الخادمة (جميلة) فوقعت كل الأطباق من يدها ووقع هو أيضا ومن خوفه أطلق صرخات عالية من البكاء ثم بكى توأمه أيضا لبكاء أخيه ، أما جميلة فمن هلعها لم تدري ما تفعل فأسرعت تلتقط الأطباق وهي مذعورة ، فيما أسماء أمسكت إياد وعماد تولت فدوى أمره محاولةً إسكاته. .

في المواقف العصيبة و التي تترك توترا بالغا بين الأفراد يجب على المرء أن يتصرف بحكمة ولكن فدوى اختارت طريقا آخر ، طريقٌ شائكٌ ولا يُوصِل إلى نهاية الطريق ، راحت تصرخُ على جميلة وتهينها أمام الجميع وكادت تصفعها تحت صدمةِ الجميع متجاهلةً نداءات زوجها وصوت حماها .. وقبل أن يصل الكف إلى وجه السيدةِ جميلة أمسكت يدها ميا‌سين بشكل متحدٍ وقالت مُوجّهة نظرة صارمة لفدوى : لا تتقاوي عمن هم أضعفُ منك فهم لا يملكون القوة ولا حتى المال ولكن يملكونَ الله . ختمت كلمتها بعدما أنزلت يدها والغيض يخرج شرا من أعينٍ فدوى .. أضافت ووجنتيها قد احمرتا: أعتذر ولكن هذه ليست الطريقة الصحيحة .

- لا أحد سيعلمني الطريقة الصحيحة في تعاملي مع الناس (ردت فدوى وهي تنظر باستعلاء ونظراتها تكادُ ترتكب جريمة هناك).

لم تَرد مياسين واتجهت بكل برود تجلس مكانها بعدما لاحظت أن الوضع لا يُشْكر ولا يُعجب، جاء سعالُ السي السعيد كإنذارٍ لفدوى وقال : أحم أحم لنتابع لم يحدث شيء ، لا بأس يا فدوى هكذا هم الأطفال (مختتما كلامه بنظرة حادة تعني الكثير من الكلمات التي لم يقُلْها).

فيما أمسك سيمان يد مياسين من تحت الطاولة وضغط عليه بشكل قاسٍ ورهيب حتى بدت على وجهها علاماتُ الانزعاج من شيءٍ ما ، كانت كلما حاولت سحبَ يدها ضَغط أكثر فكانت تتألم أكثر اقترب منها وهمس في أذنها استأذني حالا بالخروج وإلا ستندمين أشد الندم ، لم تدرك حتى كيف طلبت الإذن بالخروجِ قليلا ثم العودة إلى الداخل ..

خرجت الى الحديقة وهي تفرك يدها من الألم وقد احمرت حتى أنه ترك آثار أظافره على يدها التي كانت تنبع دما .جلست على إحدى الحافات تنتظره، طالت مدة انتظارها قليلا وأخيرا أتى وهو غاضب جدا .

سيمان: أخبرتك أن لا تحرجيني ولكن أنت ماذا فعلت! ما شأنك ؟! اه ما دخلك أنت ، هل تأقلمتِ في الدور جيدا على أنك زوجتي أم ماذا ! (قالها غاضبا مهددا والشرارة تكاد تخرج من عينيه)

أطرقت مياسين رأسها أرضا صامتة وهي تحاول كتم دموعها وهذا ما شجعه على أن يواصل توبيخه لها:

منذ أن عرفتك وأيامي سوداء ، لم أفهم ما شأنك بزوجة أخي وما تلك الحماقات التي قلتها ، سندخل حالا وستعتذرين من فدوى وإلا ..

قاطعته قائلة وهي تنظر إلى عينيه مباشرة : وإلا ماذا !

أربكته نظراتها فضاعت الكلمات من لسانه وتبخر غضبه وتحدث قلبه داخلا : كلما نظرتْ إلي هذه الجنة شعرت بالعجز أمامها ، كأن لا أريد أن أحزنها كأن أنظر فقط لها ، تُرى هل تملك طاقةً خارقة تمنعني عن الصراخ عليها عندما تنظر لي بهذا الشكل ؟

مياسين : وإلا ماذا ! لم صمتت أجب.. أكمل !

سيمان : لا شيء هيا بنا إلى الداخل واصمتي ولا تتحدثي كثيرا ، جاوبي بقدر السؤال وإلا اصمتي فهمتِ؟

كاد يذهب لولا أنه تذكر شيئا فقال : اه وستعتذرين أيضا..

نظرت إلى يدها الذي بدأت قطرات الدم تتساقط منه على الأرض ثم نظرة خاطفة إليه ثم قائلة : سأعود إلى الداخل و لست مضطرة على تنفيذ أوامرك.

استدار بغضب فلمح يدها المحمر من آثار ما فعل وقد بدأت قطيراتٌ تغزو الأرض ، أكمل طريقه إلى الداخل ثم ما لبث خمس دقائق حتى عاد وفي يده علبة الإسعافات الأولية فرآها تمسح دموعها التي غلبتها.

سيمان :تعالي إلى هنا سأضمده أنا.

تخطت أمره وفتحت أحد صنابير الحديقة، غسلت يدها ثم توجهت نحوه وأخرجت ضمادةً وضعتها على يدها قائلة ببرود : جمعيكم تتشابهون في النذالة ، تنزفون الجروح ثم تدّعون بتضميدها .

سيمان : ماذا تقصدين بجميعكم ؟ (وقد كان الغضب أكل منه كل شيء)

مياسين : لن أفسر لك افهم ما شئت ، كن بارعا أيضا في هذا ليس في الغضب والغرور فقط .

تركته يغلي غضبا وعادت إلى الداخل مُخبئةً يدها خلفها ... ثم اعتذرت من فدوى وجلست تتناول عشاءها ، كادت تلدغها بردٍ مؤلمٍ ولكنها زمت شفتيها عندما رأت نظرة زوجها الصارمة بأن تصمت ولا تنطق بأيّ حرفٍ واحد..

لا تسأل ، ولا تستفسر عن قصص الناس بدافعِ الفضول ما لم يحكوها لك، لأنك قد تعيد تَهديم ما حاولوا ترميمه بعد مُدةٍ طويلةٍ كان الكسرُ والهدمُ فيها هو حاكم القلعة. ففي اللحظةِ التي تريدُ فيها أن تصمت على كل شيء يلحّ الناس بأسئلتهم على معرفة ما لا يهمهم فيفتحون شرخًا عميقا ونعود نحن إلى البداية ، أينما وقعنا بالذات..

هكذا مياسين سمعت كلّ ما لم ترد أن تسمعه وكل ما كانت تحاول أن تنساه ذكروها به بأسئلتهم المزعجة حتى يُشبِعوا جوع فضولهم .

أنور: حسنا يا زوجة أخي حدثينا عنك قليلا ماذا تعملين ؟ عمرك ؟! عائلتك !

مياسين: معلمة ، خمسةٌ وعشرون سنة وصمتت ولم تزد على ما قالت وبدأت تلعب بالشوكة .. كانت أجوبتها القصيرة تبين أنها كتومة لا تحب أن

تتحدث عن نفسها ولا تريد أن تكون الأضواء متجهة نحوها رغم أنها كانت مثيرة للغموض .

جاء رد نرجس اللاذع : ربما لا تملك عائلة فنحن لم نتعرف عليهم ولم يظهروا حتى الآن خصوصا وأن زواجكم تم بلمح البصر وضحكت هي وفدوى وانضم أنور وحتى سيمان عندما تذكر أخوها وكيف هانت عليه أخته بكل بساطة .. تنحنح السي سعيد ليصمتهم و وجّه نظرته الصارمة نحوهم ابتلعت ريقها و بهدوء تام وعينين دامعتين ورأسٍ مطأطأ قالت : محقة نرجس ليست لدي عائلة ، عن أمي وأبي فرحمهما الله . و كأنها فجرت قنبلةً من الندم فيهم بجملة واحدة ولكنها أصابت سيمان أكثر منهم لأنه بالغ في ضحكته وبعد الصمت الذي حلّ عليهم فجأة واصلت كلامها : و لديّ أخ يدعى سامي ثم سكتت عن بقية الحديث عندما توالت عبارات العزاء واحدةً تلو الأخرى.

ردت عليها السيدة رتيبة حتى تبتلع أجواء الحزن التي غاصت فيها : نحن عائلتكِ يا ابنتي ، لا تنسي هذا .. هؤلاء إخوتك وأنا أمكِ وهذا أبوكِ ..

لم تواصل السيدة رتيبة كلامها بعدْ حتى انفجرت مياسين باكيةً وكأنها تذرفُ من عينيها شلالا لا دموعا ، لم تعلم حتى أين تخفي وجهها حتى لا يرى أحدٌ بكائها ، ولكنّ الجميع رآها .. أشفق سيمان عليها فربّتَ على ظهرها لكي يخفف عنها ولكن لم يُجدي ذلك بشيء .. نهضت والدته وضمتها إلى صدرها محاولة تهدئتها، ثم أخذتها إلى الحمام حتى تغسل لها أطرافها ووجهها، لحق سيمان

بهم سريعا خشيةً من أن تخبرها مياسين عن زواجهم التمثيلي ولكنها كانت في هما وغمها تحاولُ إعادة ضبط نفسها التي تبعثرت للحظة..

سيمان: أمي ، سأتولى أنا أمرها لا تقلقي..

السيدة رتيبة: لا يا بني ، دعني معها أنا امرأةً و سأفهمها جيدا ..عد لطاولة العشاء...

سيمان : لا .. أنا أيضا سأفهمها ، هي زوجتي لا تنسي ذلك يا أمي .

حاولت السيدة رتيبة أن لا تترك مياسين بمفردها ولكنّ رفض وتصميم سيمان جعلها تعود أدراجها إلى تحت .. أما هو فجلس ينتظرها أمام الباب حتى تنتهي من غسل وجهها وأطرافها..

مرت خمسُ دقائق لم تصدر فيها صوتا ولم تخرج ، فثار قلقه عليها فما كان أمامه سوى أن فتح الباب هلعًا ..خائفا من أن يكون قد حدث لها شيءٌ ما .. وجدها جالسة على الأرض تبكي وهي متكورة على نفسها ، نزل على ركبتيه ووضع يديه على كتفيها وبنبرة حانية قال: هيا انهضي من الأرض .. كفاكِ بكاءا..

أبعدت نفسها عنه ومدت يدها تُكفكِفُ دموعها ثم قالت بنبرة شَجنةٍ : أريد أن أعود إلى البيت ..

رد عليها محاولا أن لا يبين غضبه من طلبها هذا: اغسلي وجهكِ ، ستتحسنين بعد ذلك ، لازال الوقتُ مبكرا على عودتنا لا تتأملي.

دفعته بغضب حتى سقط نوعا ما ونهضت تغسل وجهها ثم خرجت وتركته خلفها ينفضُ ملابسه متقززا ، ساخطا على فعلتها هذه..

طيلة السهرة لم تتحدث بل قررت أن تصمت ولا تردَّ على أحد ، رغم أن بعض المواضيع كانت تمسُّ قلبها أحيانا وكرامتها أحيانا أخرى ، لم تجد سوى يدها ليكون ضحيةً لتوترها وقلقها فصارت تغرزُ أظافرها تارةً وتارة تعبثُ بثوبها .. لاحظ سيمان ذلك فوضع يده على كفتي يديها وأحكم عليهما حتى تتوقف عن تصرفاتها اللاإرادية التي بدأت تبدو له غريبة نوعا ما ولكنها سحبت يديها وأبعدتهما عنه .. ولكنه سريعا ما أنهى جلستهم هذه وقرر المغادرة بعدما بدأت تحرك قدمها من القلق والملل فعرف أنها باتت لا تطيق البقاء هناك ولو دقيقةً أخرى ..

فصدقًا نحن لا نعرفُ عن ما يخفيه الناسُ من مشاعر فأنا وأنت وأنتم وهم صندوقٌ مغلقٌ بداخلِ كلٍ منا حكاياتٌ لا تكتبُ وتُحكى ، قد يَجرح الناس بعضهم لأنهم جُرِحُوا وقد يَجرَحون أيضا لأن يملكون من السوء ما يعادل حجم المجرات في الفضاء . انتهت أمسية الشؤم تلك بعدما استهلكوا مياسين وأخذوا منها ما تبقى من قوة جمعتها على مدار خمسِ سنواتٍ مضت.

لم تتحدث معه طول الطريق رغم محاولاته كذا مرة في خلق الأحاديث ولكنها ردت عليه بالصمت وفقط .. أما هو فتحكم في غضبه كثيرا حتى لا يزيد من سرعةِ السيارة لكي لا يحدث ما حدث معها سابقاً.. و فور وصولهما دخلت إلى غرفتها مكسورة الجناح أغلقت الباب بالمفتاح وانهارت على فراشها كجثةٍ

هامدة ولكنها تتنفس .. أزعجها طرقه للباب ومحاولة فتحه فصرخت عليه : اوه .. اتركني وشأني يا أيها الأحمق ..

غضبِ من ردها العدواني فلكم الباب بيده قائلا: الحمقاءُ أنتِ وأخوك ، ابقَيْ في جحيمكِ وحدك يا مغفلة..

تغاضت عن قوله و أمسكت دفترها وكتبت:

يُحكى أنه في ليلةٍ ما أخذوا العصفورة من القفص ووضعوها وسط وحوشٍ جائعةٍ للاستهزاء فأفرغوا ما بجعبتهم من كره وصبوه بِنزيناً على جناحيها وألقوا بعود الثقاب وأشعلوا نارا وجعلوا من ضحكاتهم موسيقى لعزائها .. لم تروقني عائلته قط ولم يروقني هو أيضا ولا أحد يروقني عما قريب سأجن حقا ولن يبقى شيء حتى جسدي هذا سيصبح ملك فتاةٍ مجنونة ذهب عقلها، كنتُ بخير لولا الآخرون كنت بخير ولكنهم رموا بي ذات خميس من أعلى الحافة ووقعت في القاع ، حاولت أن أنهض مرة أخرى فكنتُ أقع أكثر إلى أن استسلمت وجلست أنتظر شفاء ندبات الزمن تلك ولكنها بقيت تنزف ، كل من ضحيت لأجلهم ضحوا بي وتركوني أجلس وسط خيباتي .. ماذا يفعل من لا يملك كتفا يسنده؟ ماذا يفعل من تاه وسط الأنقاض؟ ماذا يفعل من لا يملك أحد ! خلقنا الله في دنيا مليئة بالناس حتى نجد من يسندنا من يقف معنا عندما يجلس الآخرون، من يمسح على أوجاعنا .. من يشعرنا بأننا حقا لسنا وحدنا ولكنني لم أجد.. فقط الله كان في عوني ولولاه لَما كنتُ أجتَاز امتحاني هذا بصبر إلا أنني دوما أفكر في أولئك الذين يعيشون بعيدا عن الله

كيف يتنفسون على أرضه وهم لا يطيعونه ؟ .. كيف لهم أن يناموا ولم يذكر قلبهم اسم الله مطلقا؟ أي قلبٍ قاسٍ ملكوه ! ..

أغلقتِ الدفتر و أطفأتْ ضوء غرفتها واستلقت تنامُ بعد مجزرة العشاء تلك فيما جلس هو في الغرفة المجاورة يفكرُ فيها بدأ يشعرُ بالذنب مما فعله لها وحتى عن ضحكاته قبل أن تصفعه أجوبتها بأن والديها أخدتهما طيارة الموت قبل ثلاثة سنوات ورقّ قلبه لما تذكر جلستها في الحمام بعد انهيارها ، حقا لقد بدأ يشعر بالغموض نحوها أكثر.. تخفي الكثير ولابد له أن يعرف .

توالتِ الأيامُ سريعًا ومضت أربعةُ أشهر كمُضي الثانية وزادت حدة الأحداث التي نبتت سريعا وامتدت كأوراق نبات اللبلاب ،صارت مياسين تهتم بواجباتها المنزلية وأصبح هو يأخذها إلى المدرسة صباحا ويعيدها مساءا ، تعرَّف على كثيرٍ من الأشياءِ التي كانت تخفيها شخصيتها ، عرف أنها تستيقظ فجراً لتصلي وتقرأ ما تيسر من القرآن ثم لا تنام بعد ذلك حتى مشرق الشمس فتخرج من غرفتها لتحضر فطور الصباح. وكان يسمع كل ليلة ابتهالها إلى الله بأن يغفر لوالديها ويهدي أخاها ويلين قلب عمتها ويرزق صديقتها ما تتمنى ، اكتشف أنّها تعد الطعام بإتقان لدرجة أنه يتشابه بدرجة ما مع طعام أمه ، كان كل يوم يستيقظ على رائحة الحلويات التي كانت تعدها صباحا وبالمقابل تعرفت هي على حنانه الغريب الذي يأتي بعدما

يلقي رماحا من الكلمات الجارحة ، أو حتى التصرفات الطائشة . فقد كان يتركها في البيت ليلا وحدها ويخرج هو رفقة أصدقائه ، ذات مرة سمعت أصواتا غريبة تأتي من شرفة غرفتها فتملكها الرعب خشيةً أن يكون أحد المتسكعين الذي رأى زوجها يخرج للسهر رفقة أصدقائه ، اتصلت به كثيرا فكان يغلقُ الهاتف في كي مرة تتصل به .. تضاعفت شدة الصوت ، هناك من يحاول فتح النافذة أو ربما كسرها ، أرسلت له رسالة تخبره بأن هناك لصًّا يحاول الدخول من شرفة غرفتها ولا تدري ما تفعل كانت صدمته كبيرة عندما قرأ ما كتبت له ، ترك كل شيء خلفه وركض للبيت خائفا على الجوهرة التي تركها هناك ، اتصل بها ليطمئن عليها ولكن هاتفها كان مغلقاً ، خاف كثيرا من أن يحدث شيء لها فهو السبب في الأخير، وصل إلى البيت بعد خرقه للكثير من الحواجز والإشارات الضوئية فوجد الجيران مجتمعون حول البابِ المكسور وفي قبضة شابين منهم شاب ثلاثينيٌّ ذو بنية قوية يحاول الإفلات ولكنه لم يستطع لأنه كان مشدودَ اليدين مطروح الأرض ، ورقبته ملتوية بشكل لا يستطيع الحراك وقمصيه ملطخٌ ببقع من الدم، جال ببصره بين جاراته عله يراها بينهم ولكن خابت آماله ..

سيمان :أين هي يا خالة فاطمة ؟! (قالها بهلع والدم هاربٌ من وجهه)

خالة فاطمة : لا تقلق في الداخل رفقة خالتك مؤنسة، اذهب يا بني هي بحاجتك .

كاد يدخل لولا أنه عاد إلى ذلك المقبوضِ عليه ولكمه عدة لكمات وركلات على مستوى البطن جعلته يصرخ ألما من تلك الضربات القاسية ، ثم طلب من "أمين وفاتح " بأن ينتظراه هناك وأن لا يتركاه.

دخل مسرعا إلى غرفتها فوجد كل شيء مكسورٌ على الأرض وحتى هاتفها وبعضٌ من بقع الدم على الأرض ، آلمه منظر الغرفة مُتخيلا أن هذا الخبيث حاول أن يتقرب منها ، صرخ مناديا الخالة مؤنسة فاستجابت له من غرفته ، أسرع إلى هناك فوجدها تضمدُ ذراع مياسين وهي تبكي في صمت و شعرها منسدلٌ عليها وثيابها شبه ممزقة ، حاول أن يقترب منها فدفعته خائفة وكأنها لازلت تحت تأثر الصدمة ، مسحت الخالة مؤنسة على شعرها وقالت لها :

لا تخافي يا ابنتي هذا زوجك ..لا تخافي .. اطمئني ، كل شيء انتهى .

كان سيمان خائفا جدا على مياسين والندم ينهشُ قلبه لأنه تركها بمفردها ليلا ، فقط ليرضي عناده كان يسهر رفقة أصدقائه لأنه كان يعلم أنها تخشى الوحدة كثيرا فقد علقت إحدى المرات على سهره الغير المناسب بتاتا شكر الخالة مؤنسة وطلب منها أن تتركه معها ،تفهمت وخرجت مغلقة الباب وراءها .. كانت أول مرة يرى شعرها الأسود الطويل لقد شَبِهت طفلةً بريئةً سرقوا منها لعبتها ، اقترب قليلا منها ،هامسا بكلماتٍ خفيفة مطمئنًا إياها : لا تخافي هذا أنا ، سيمان ، لا تخافي ، اقتربي ..

ما كاد يقترب حتى نهضت هاربة منه وهي تبكي ممسكةً بقطعة زجاج في يدها الآخر ..حاول تهدئتها لكن باتت لا تسمع كجدار أصم، فقط تردد لا تقترب سأقتلك ، لا تقترب سأقتلك ، حاولت طعنه بالزجاج فور ما اقترب ولكن

بقوته وفطنته أمسك يدها وبحركة مفاجئة أدارها وأمسك بها جيدا ، زادت في نحيبها ونزع هو قطعةَ الزجاج من يدها وألقى بها بعيدا ، ثم بدأ يهمس في أذنها علّها تهدأ : لا تخافي أنا هنا ، سيمان أنا ، هيا مياسين لا تخافي ..

بدأت تهدأ وتهدأ إلى أن هدأت من هذيانها ثم استدارت نحوه وضمته بقوة وكأنه هو ملجأها الوحيد الذي تختبأ فيه من مر العالم وشدّ هو عليها بقوة حتى كادت تخترق قفصه الصدري. انتهى هذا العناق الذي جمعهم به الخوف ، أمسك وجهها الصغير بين يديه اللتين بدتا كبيرتين بالنسبة له وأخبرها بأن تنتظره هنا سيعود حالا ، ولكنها تشبثت بقميصه خوفا من أن يتركها مرة أخرى ويذهب مع رفاقه ، أقنعها أخيرا بأنه لن يخرج مرة أخرى فقط أمام الباب ويعود .. ترك الخالتين فاطمة ومؤنسة معها وطلب من باقي الجارات أن تذهب كل واحدة إلى بيتها ، أما ذلك المتسلل فقد تم تسلميه للشرطة في انتظار تعافي مياسين نفسيا للإدلاء بشهادتها . باتت ليلتها تهلوس بما حدث وبات هو ساهرا طوال الليل على رأسها والألم يعتصر قلبه كلما استيقظت فزعة من الكوابيس التي تلاحقها في نومها..

نعم مضت الأيام كثيرا ،وحدثت الكثيرُ من المواقف بينهما ، مواقفُ امتزجت بين الحزنِ والغضب والفرح و "الحب " الذي أخفياه في غيباتِ قلبيهما حتى وتغيرتُ في سيمان بعضٌ من تصرفاته الحمقاء .. فقد كان سابقا يتجول في كل أنحاء البيت بدون قميصه ولكنه غير من عادته هذه عندما رأى خجلها وهروبها المفاجئ كلما رأته هكذا ، وقرر بأن يحترم مبادئها و يجعل هذا المكان آمنا لها أيضا ، كما يجد هو راحته.. يجب أن تجد هي أيضا راحتها .

بعد حادثةِ محاولة الاعتداء تلك تقربت أسماء من مياسين و صارت تزورها بين حينٍ وآخر وفي أحاديثهما حكت لها عن زواجها الذي على وشك الاحتراق بسبب تأخر إنجابها كما يزعمُ المجتمع و انكشف لها أيضا خلال زياراتهم لقصر عائلته كثير من الأسرار التي يحيكها كل منهم خلف ظهر الآخر ، ولأنها لا تحب أن تتكلم كثيرا لم تفضح أحدا ولم تشأ أن تتدخل في عائلته كانت تثق دوما أن ما تفعله سيعود إليك يوما ما فسترت ما سترت وحاولت ستر ما سيكشفُ على طاولة عائلة صبراوي و يهدمها وأدركت أخيرا أن العائلة وبكبرها وعظم دفئها قد يوقدها حطب الخيانة والكذب أكثر من حطب الصدق والحب .. سمعت كذا مراتٍ نرجس تواعد شابا وتغازله على الهاتف و ضربت معه مواعيد كثيرة للملاقاة والخروج معا ليتفسحا بكل خبث ..اه أعتذر بكل حب مثل ما كانت تعتقد ، كانت مياسين تعلمُ في قرارة نفسها بأن ما تفعله أختُ زوجها خطأ وأنّ من اختار الطريق الحرام سيحترقُ فيها قبل أن يصل إلى ما يريد ولكنها لم تتجرأ أن تتحدث معها بعدما حذرها سيمان يوم دافعت على الخادمة أمام فدوى وكيف كان رده قاسيا عليها وبأن عائلته لا تعنيها ولم تَجرُأ أيضا على اخباره لأنها لا تثق في تصرفاته بتاتا فهو من تلك الشخصيات التي لا يمكنك معرفة ردة فعله .. و قد عرفت أيضا مدى طمع فدوى ورغبتها في الاستلاء على أغلب ممتلكات والد زوجها وتخطيطاتها وأمها وحتى افتراءاتها الكاذبة بشأن حماتها ..

فذات مرة أخبرت زوجها أن السيدة رتيبة أي حماتها أهانتها أمام العمال واحتقرتها لسبب تافه ، كاد بهاء يشاجرُ والدته لولا أنه سمعِ زوجته تحادث والدتها وتخبرها أنها نجحت في تخريب علاقته بأمه الشمطاء.. وستبدأ في حثه

أكثر على أن يشاجرها كلّ ما سنحت الفرصة ..ولكن السحر انقلب على الساحر فغضب عليها زوجها ولم يعد يصدق ولا حرفًا تنطق به من فاهها.

كل هذه الأشياء التي عرفتها مياسين كان صدفة دون رغبة منها ، فزلاتُ اللسان أحيانا هوةٌ ما بين عالمين تبصق حروفها سهوا في لحظة ثقة عمياء . كل هذا ولم تفصح عن ماضيها لأحد ولم تكشف عن نفسها ولا تريد أن تكشف ، اعتبرتها من خصوصياتها أي لا يجب على أحد أن يتخطى خطوطها الحمراء التي رسمتها بريشة مبادئ لم يُعَلّمها أحدٌ إيّاها سواها .

كانت تظنُ أنها أذكى من أن تبوح بأسرارها لأحدٍ ما وكان هو أذكى منها فبدأ ينبش في شخصيتها بفأسِ شكٍ على أرض ملأتها خيباتُ ما عاشت . تطفل على دفترها وكان يقرأ ما تكتب سرا ، وكلما قرأ شيئا زادة الفضول فضولا وباتت معرفة ما حدث قبل أن تعرفه هو أقصى همومه ، كتبت عنه أيضا وصفته بأنه أحمق لا غير ، تحدثت عن كل مواقفها معه ، عن يومياتها في المدرسة مع تلاميذها وعن اشتياقها للماضي ، وتحدثت أيضا عن الحادث الذي فقدت نفسها فيه ولكنه لم يكمل قراءة بقية التفاصيل بعدما أمسكت به متلبسا في إحدى المرات وأقامت حرباً عليه جعلته يلعن تطفله ألفا ..أما سامي فالتقه إحدى المرات أمام المدرسة بعينين تستغيثان نورا منها بعدما وطأت قدماه عالماً مظلما تورط فيه بحفر أنفاق من الكذب والخداع؛ وهناك عانقها بقوة كمن يتمسكُ بجدع شجرةٍ في نهرٍ يجرفُ تياره كل شيء وقع داخل مائه .. لم تدري أن ذلك لقائها الأخير به تعلقت عيناها على وجهه الذي ارتدى حلةً صفراء ممزوجة بسوادٍ قاتم يشبه وجوه الأموات بعد

احتضارهم ، استغربت منه تكراره لطلب عفوها عن ما فعل بها ومد لها بظرف ملأته نقود ورقية كثيرة : مياسين هذا لك ، قليل ولكن سيكفر عن ذنبي و سأكون بذلك قد سددت الجزء الأكبر من ديني لزوجك ومع دفعاتك السابقة سيصبح كل شيء مدفوع فكما تعلمين لقد اقتصصنا المهر منه وتبقى ما تبقى .. ولكن ليس بعد اليوم.

لم تشأ يداها أن تمسك الظرف ولكنها استفسرت وهي تدعو داخلها أن لا يكون الجواب هو ما شعرت به داخلها : من أين أتيت بهذا المال يا سامي ، أعلم أنك عاطلٌ عن العمل وكل أموالُ أبي باتت تراباً؟!

تناثرت نظراته المرتبكة هنا وهناك بعيدا عن عينيها محاولا التهرب من الإجابة ولكنها أمسكت به من ساعده تحثه على الاعتراف فصعقتها إجابته التي طأطأ رأسه لها وغاص في تفاصيل الأرض وهو يقول : أعتذر كثيرا كثيرا ولكنني بعت منزلنا والأرض المقابلة له ، لقد .. لقد وقعتُ في ديونٍ كثيرة ولا خلاص منها الى بهذا الحل وكنتِ أنتِ أولّ من فكرتُ بها حتى لا يقال أخوها ليس برجل .

قالت غاضبةً من أخيها : ولكنك لست برجل ؟ هل بعد كل ما فعلت جئت تخبرني بأنك بِعتَ كل ذكرياتي التي كانت جميلة؟؟

رد مدافعا بعد أن مست كرامته :أيُّ ذكرياتٍ تلك .. أتقصدين جنونك ؟! أم تقصدين أيامك تلك التي كنتِ تحطمينَ فيها كل شيء .. أم صراخك المزعج أحيانا ..؟

وصل سيمان بسيارته فرآها تُحدثُ شابا في سنه ، ممسكا بظرفٍ في يده وهو غارسٌ عينيه في الأرض وكانت هي تمسكه من ذراعه واصفرار وجهها بارزٌ من

بعيد ، لم يعرف مع من كانت تتكلم فلقد كان موليًا ظهره باتجاه الطريق ، ركن السيارة جانبا وظلّ يشاهدُ من بعيد وفي قلبه غصةٌ تخبره بأنها بدأ يحبها، وعلى صفعتها لذلك الشاب نزل مهرولا نحوها ظانا أنه حبيبها السابق ولكنه تفاجأ عندما وجده سامي أخوها .. تركتهما واتجهت نحو السيارة ورجلاها لا تكادان تحملانها ، كيف تجرأ وباع منزل عائلتها؟ ، كيف له أن يبيع ذكرياتها؟ ، كيف له أن يقول لها كلاما ساما لا يُبلع كذاك..

خذلني الجميع واليوم خذلتني أنتَ أيضًا ..

كانت هذه هي الجملة الوحيدة التي استطاعت أن تكتبها قبل أن تنهمر عبراتُ عينيها . وضعت رأسها في حضن دفترها الجالس على طاولة غرفتها وتركت نفسها تنزفُ حزنًا على قدرٍ لم يكتب قلمه موعد فرحها بعد ، سمعت طرقاتٍ خفيفةٍ على الباب فلم تكترث به ولم تتكلم.. فقط كانت قد ذهب عقلها إلى ذكرياتها التي اغتالها أخوها اليوم .. فتح الباب وأطل برأسه؛ كان سعيدا اليوم على غير العادة ، عيناه تبرِق ضحكا منذ أن التقى بسامي وتصرفاته تبدو غريبة ، غيره هذا اللقاء نوعا ما ولكنّ شكلها المنكسر ذاك أخذ من

قلبه النصف وألقى به في إحدى الشوارع المهجورة والنصف الآخر هوى به إليها .

لم تهتم لدخوله فقط قالت بنبرةٍ عصفتها دوامةُ الحزن جيدا :رجاءا أخرج عني ، أريد البقاء وحدي!

سيمان بعناد مقلدا لهجتها :لن أخرج سأبقى هنا ، بإمكانك أن تخبريني عن ما جعلك تذرفين الحزن دمعا وتنزفين الانكسار انكسارا .

مياسين: ما شأنك ، أخرج ! استغرقت ثواني حتى أكملت ردها هذا .

سيمان: يا بنت لا تتآمري علي س..

قبل أن يواصل كلماته خرجت هي وركضت إلى إحدى الغرف وأغلقت عليها وجلست أرضا تروح وتجيء بجسدها الذي كورته ثم تقضم أضافرها تارة وتدخل في نوبةِ بكاء تارة ، أمسك الدفتر الذي بللته بعينيها وقرأ عبارتها الأخيرة فأدرك أنها حزنت على ما فعل سامي وتذكر اتفاقه معه اليوم عندما ذهبت هي للسيارة .

سامي : سيمان هذا الظرف لك ، ديني المتبقي .

سيمان : من أين لك بهذا يا هذا وأنت الذي كنتَ البارحة لا تملك ثمن سيجارة !

سامي باستهزاء وفي زلة لسان : بعتُ منزلنا ، ثم أدرك ما قال فأضاف سريعا يمحو ما قال : ما شأنك عادت لك نقودك وانتهى ولكن لي طلب فربما لا نلتقي بعد يومنا هذا .. أختي أمانة عندك ، في خاطرِ الأيام التي كانت بيننا .

سيمان : لم تكن بيننا أيامٌ أصلاً لا سبب يبقيني وإياها تحت سقفٍ واحد بعد الآن ، اليوم عيدي قالها وهو ينظر باتجاه السيارة حيث هي .

سامي : لا تتركها على الأقل الآن .. لا يوجد مكان تذهب إليه لقد بعت كل شيء.

دقات خفيفة على باب الغرفة التي هربت إليه ..

-يا بنت الناس افتحي الباب وإلا كسرته (قالها بقلق)

لم يأته صوتها ولم ترد عليه مما زاد في حدة الطرق وبلهجة تشبه الصراخ : افتحي !!

فتحت الباب لتنهي مهزلته هذه ، كادت تتجاوزه لولا أنه أمسك بيدها وصبره بدأ ينفذ :

- دموعك هذه امسحيها لا أريد أن أراها وبنظرة ثاقبة اخترقت عينيها أضاف: ومرة أخرى إياك وإياكِ أن تكرري حركاتك المستفزة تلك .

حاولت التخلص من قبضة يده التي أحكمت على يدها وبنظرات منكسرة حاولت الهروب بعيدا عن عينيه ، كانت كل ما تقابلت عيناه بعينيه شعرت بكهرباء تصعق جسمها وبشعور لم تستطع أن تسمه بعد وأخيرا قالت : اليوم انتهى اتفاقنا للأبد ، غدا ستفترق خطانا التي لم تكن يوما معا ، سنلتقي في المحكمة وأفلتت يدها منه .

شك للحظة أنها علمت باتفاقه مع أخيها وأنه قبل تسديد الدين وأنه لم يعد هناك أيّ دين و لأول مرة خاف حقا أن أحدهم سيتركه وليقطع الشك باليقين قال : ودينك ذاك من سيسدده !

قالت : الدين ليس ديني بعد الآن .

سيمان : ليس دينك ولكن المبلغ كتب في ورقةِ شيك تحمل اسم "مياسين الهاشم " وتحته التوقيع ، وليس هذا و فقط بل وقعتِ على ورقة تفيد بأن هذه الأموال ستعاد ل " سيمان صبراوي" في ظرف شهرين ، مضى الكثير ولم يكتمل المبلغ بعد وبلمعة خبث واصل كلامه بعدما رآها جامدة تنصت دون ردة فعل : إذا سأقدم بلاغا عنك بأنكِ قمتِ بالنصب والاحتيال عليّ وستدخلين السجن ، لم يكن يقصد حقا ما يقول فهو يخاف من أن تسمع عائلته بقصة النصب هذه وتحدث مشكلة بسبب طيشه وقلة مسؤوليته ولكن أرادها أن تعدل عن فكرة الطلاق ، أراد أن يتمسك بها بطريقة أخرى لم تعلم عنها هي بأنها نفسها " أحبك " ولم يعلم هو عنها أيضا بأنها تعني " وقعتُ في حبك "

مياسين : سأدخلُ السجن لم يبقى شيء لي لأخسره ولا تقصر فيما ستفعله ولا داعي أن تحاول إثبات التهمة ، سأعترفُ أنا ..

تفاجأ من ردها وأجابها في سره : بقيت أنا وستبقين أنت أيضا و لن يتطلق أحد ، لستِ أنت من تتحدثين وجعك الآخر هو من يتحدث صباحا ستعدلين عن ما قلته الآن .

لأول مرة منذ أربعة أشهر استيقظ هو قبلها على صوت النافذة التي صفقها الهواء بقوة .لم تخترق أنفه اليوم رائحة حلوياتها ، نظر إلى ساعة هاتفه كانت قد تجاوزت الثامنة دقائقَ تقفزُ سريعا بعقارب الساعة تذكر أنها في كل وقت من هذا تكون في المدرسة .. خرج سريعا من غرفته ليتفقد إن ذهبت للمدرسة أم أنه أخّرها أيضا ، وجد غرفتها موصدة فتحها سريعا فرآها تغطُ في نومٍ عميق ناداها بقوة لكي تنهض لكنها لم تنهض ولم تصدر ولا ردة فعل تبين أنها تمثل النوم، لاحت عينيه إلى علبة الدواء الموضوعة على دفترها الأسود ، اقترب منها وقرأ اسم الدواء" نيترازيبام/ Netrazépam " فتح محرك البحث سريعا "Google"وكتب اسمه منتظرا الإجابة بفارغ الصبر و عيناه تسرقان نظرة منها ونظرة إلى الهاتف ..أشارت نتائج البحث إلى أنه دواء لعلاج حالات الأرق والقلق الحاد ولا يوصف إلا بوصفة طبية فقط ،

استنتج أن قلقها الليلة الماضية كان كثيرا عليها وكان هو أحد الأسباب في ذلك فتش في الأدراج فوجد دواءا آخر ، أثارت هذه الأدوية استفهامات في رأسه من أين أتت ؟ وهل هي مدمنة أدوية أم ماذا ! ولكنها توصف فقط بوصفة طبية مصادق عليها من طرف الطبيب! لم تطل فترة استفساراته فقد عثر على وصفة طبية لها ، جحضت عيناه عندما رأى طابع الأمراض العقلية والنفسية لم يكن يعلم أنها تأخذ علاجات ما ، رغم رؤيته لها كذا مرات تشرب دواءا ما ولكنه لم يستفسر كان يعتقد أنه دواء خاص بالنساء من المخجل لو يسأل عنه .

أغلق باب غرفتها بعدما أخد المفتاح الاحتياطي للبيت وجرد كل الغرف من المفاتيح وأخفاها في مكان ما في غرفته واتجه إلى عيادة الدكتورة التي كتبت الوصفة ليستفسر عن أسئلته التي صارت مزعجة حقا...

بين الحين والآخر يجب أن يدرك الناس أن وراء كل انسان حكاية من قسوتها لا تحكى .. وراء كل شخص جراحٌ عميقة استغرق في شفائها و أن من ينجح في ترميم نفسه ولو قليلا لا يعود كسابق عهده ، سيصبحُ كائنا غريبا بعض الشيء و كثيرا .

هناك ضريبة لكل شيء ، وضريبة العودة إلى الحياة أحيانا أن تصبح أحداً آخر .. شخصا لا يكترث ..لا يهتم ولا يبالي ..لا يشعر لا يقترب من أحد .. هذا ما كان عليه معرفته عندما التقى بها .

الفصل الثاني:

تركتُ أختي . . .

سأحكي لكم عن شابٍ متهورٍ قبل أن يأخذني قطارُ الموت ، سأحكي لكم يا من تقرؤونَ حكايةً رسمها أصدقاءُ السوء الذين عاشَرَتْهُم روحي قبل أن تقعوا في ما وقعتُ الآن ، أحكي لكم الآن وأنا مُلقى في أحد الأحياءِ الشعبيةِ المهجورة ، وأنا غارقٍ في دمائي التي شعرتُ بدفئها أولاً وسرعةِ تدفقها ثانيًا ، وثالثًا بما يشعرُ كبشُ الأضحيةِ ولكنَّ مكانَ الذبحِ مختلف ، ما ذُبِح اليومُ قلبي ..اختلط الترابُ بلعابي واختلطتُ أنا في دمائي لا أقدر على الحراك ولا حتى على إخراجِ صوتي من حنجرتي خانني كل شيءٍ في لحظة ، كغدرِ أصدقائي لي منذُ لحظات ، أشعرُ بآلام تُقَطِّع مختلف أنحاء جسمي مازالت إلى الآن أتلقى ضربًا بركلاتٍ ولكماتٍ على كاملِ قُطْرِ ما أملكُ من جسد أُغْمِضُ عينيّ لوهلةٍ ، أفتحهما أرى أصدقائي من بعيد مشكلينَ حلقةً حولي ، هذا فؤاد كَبُرنا معًا وتقاطعت طرقنا في المدرسة ، هه وهذا أحمد الذي كنتُ أدعوه أخي ، وهذا صديقي أيوب لطالما تقاسمنا الطعام معا .. هؤلاء من منحتهم ثقةً ومنحوني خيانةً لا تُنسى حتى في غيباتِ القبرِ.

أبي ، بلغتُ من العُمرِ عمرًا ولم أفعل شيئا فيه. اليوم أنا أعتذر لك قبل أن ألتقي بك ، أعتذر منك لأني فعلتُ كل ما أمرتني أنْ لا أفعله ونَدِمْتُ كثيرا على ذلك ولكن في لحظاتي الأخيرةِ التي لا تنفعُ ولا تمكنني من العودةِ إلى الوراءِ ولو بثانيةٍ ، أبكي الآن دمًا وأنزفُ دمعًا ، أبي أنا لم أعتني بأختي أبدا

لقد تركتها كما تركتنا أنت وأمي ، ظننتُ أنني إذا ما تخليتُ عنها كما تخليتم أنتم ، سَأَسْعد ولن أحمل همًا على همٍ ، أعترف في لحظاتي الأخيرة هذهِ بأنني غبي ولم أكن رجلا كما كنت دائما توصيني . أعلم جيدا لو أنك حي لما وصلتُ إلى ما وصلت إليه الآن ، أبي هل شعرتَ أنت أيضا قبل أن تتركنا وأختي بما أشعرُ الآن! .. مؤلمةٌ جدا لحظات الاحتضار هذه لا أريد أن أموت الآن ، أريد أن أصحح كل أخطائي التي لا تُغْتفر ، أريد أن لا أفلت يد أختي أريد كل شيء كأن أصلي كل صلاتي التي صليت بعضها وتغاضيتُ عن بعضها ، أريد أن أكون صالحا كما أردتني .. أريدك يا أبي الآن ، لو أنك موجود لوضعت يدك على جراحي و أنقذتني قبل أن أغرق ، لصرختَ علي كثيرا و لغضبتَ أكثر . اشتقت إلى صراخك أتدري! و كنت غبيا عندما كنت أكره صوتك الذي كان يصل إلى منتصفِ الشارع .

أتذكر يومَ كنتُ صغيرا جدا ، و خرجنا أنا وأنت أباً وابنه ورأت عيني على واجهةِ إحدى المحلات دراجة جميلة وعلقت كثيرا بأنني أريدها ولكن لم يكن بحوزتك نقودا بكيتُ كثيرا ليلتها ولاحظت بعدها أنك تخرج ليلا وتعود صباحا ثم تعود لتخرج أيضا ، لم أكن أعلم أنك تشتغل من أجل ثمنها .. فرحتُ كثيرا بها وفرحت أكثر عندما علمتني ركوبها ، اليوم فقط عرفت أنني سأبقى مدينا لك للأبد ولن أقدر على أن أوافيك حقها أبدا ، علمت هذا من أمي عندما كانت تضع لك مرهما على ظهرك في إحدى الأمسيات ، عندما رأيتُ أن يديك تحولتا لصبار ملأته الجلود المتقشرة والمتقرحة .. أعتذر يا أبي لم أدفع ثمن الدراجة ولكني أدفعُ الآن ثمن سوء اختياري ، لا.. سأعترف ثمن

عنادي لأنك أخبرتني بأن رفقتهم لا تجلب الخير لي ، يتحدث إليك الآن الطفل سامي الذي يستغرقُ عمرُ الضربات التي يتلقاها قرنا من الألم و الألم المؤلم.

ولأننا كنا فقراء لا نملك سوى رحمة الله لم يكن لي شيء لأفتخر به أمام أصدقائي وزملائي في المدرسة سوى إسمي ، كنت أخبرهم أنه مزيج من اسمك واسم أمي ، كنتُ سامي البريء الذي لا يعصي لوالده أمرا ولازلتُ سامي وكل ما لم يتغير وبقي كما هو.. اسمي "سامي" وكنت أنت ياسين الرجل العطوف ، الطيب الذي ملك سعادة كبيرة بولدين جاءا جنة عليه وكانت أمي : ميساء المرأة التي تحبها ، المرأة التي شاركتك فقرا رغم أنها ملكت من الخيارات ما لم تملك أنثى ولكنها تغيرت أيضا عندما ماتت توأم مياسين ، أصبحت أمي أكثر عدائية ربما كان الفقد مؤلما لدرجة أن تدفع مياسين ثمنه وحدها رغم براءتها.

ليتنا بقينا فقراء ، نأكل خبزا وماءا وننام سكينة وهدوءا ، أنت أيضا تغيرت يا أبي عندما آتاك إرث من عمتك الوحيدة ، لم تعد ترانا أنا وأمي وأختي أعماك الطمع كما أعماني بعدما تركتنا ، حتى أختي ونسيت أنها أختي وغدرتها ، ربما لهذا يغدرون بي اليوم .

الآن فقط أنا أشعر بندم ثقيل يسد حنجرتي ، يمنع الهواء عنها ، أنا أختنق ولا أحد يدري أتُراك شعرتِ هكذا يا أمي أنت وأبي ؟!

أمي ... ليس لكِ أحفادٌ بعد لأنني لم أتزوج كما أردتِ أنتِ ، تُعبّر دموعي الآن عن مدى ندمي لأني أهلكتُ عمري في عالمٍ مظلمٍ زينته شهوات الدنيا لم أكن صالحا أبدًا ولن أكون ، الآن لا أريد أن ألاقي ربي بما أحمله من جبالٍ أشجارها

ذنوبي ، يا ليتني متُ قبل هذا ، قبل أن أغرق في سواد سيئاتي ظلمت كثيرا ، خنت ، سرقت ، نهبت ، وفعلت من الحرامِ قائمة طويلةً لا تنتهي بعدّي لها ، فقط أتمنى الآن في وسط أوجاعي أن يمنحني الله فرصةً أخرى و أعد بأن تبقى كُل ذنوبي على الأرض .

لازلتُ أطرح أسئلة عن سبب ذلك الحادث الذي سرقكما مني ، سألت أختي التي لم تستجمع نفسها أبدا بعد ذلك اليوم ولكنها لم تجبني للآن ، كل ما عرفته كان على لسانِ شرطي المرور حينما قال أن السيارة كانت تمشي بسرعة فائقة قبل أن تقع الكارثة ، لم أرى الحادث بعيني ولكن بعد يوم فقط انتشرت الصور على الجرائد كخبر رسمي وغزت مواقع التواصل الاجتماعي ، كانت تلك الصور مؤلمة لدرجة أنني كدت أقع أرضا عندما رأيتها وكما لم أبكي أبدًا بكيت يومها عندما تلقيت نبأ الوفاة ، كيف للمرء أن يفقد أهله بين عشيةٍ وضحاها . أبي عندما رأيت وجهك الذي غرزه الزجاج وأصبح أكثر ضخامة عن ذي قبل وبشرتك التي تحولت إلى البنفسجي الممزوجِ بالدماء المقتحنة لم أعرفك للحظة ورفضت أنك أبي صرخت على كل من كان هناك وانهرتُ كطفل صغير فقد الأمان والحنان معا وأنتِ يا أمي لم أرد أن أراكِ أبداً ..حطمني شكل والدي كثيرا فخفتُ أن تكوني أنتِ قد تضررتِ أكثر منه ، لم أجد يدا تطبطب على كتفي حتى أختي كان الحادث ثقيلا عليها، دخلت في غيبوبة طويلة لمدة شهرين ، كانت نظرتي لها من الزجاج أكثر ألما ، كانت الكدمات والكسور التي تعرضت لها هي ما تلبسُ جسدها الصغير .

على حافةِ القبر وعندما ألقيت آخر ذرة من ترابيكما شعرتُ لأول مرة أنني بقيت وحدي في عالم غريب تسكنه الوحوش ، مضى الكثير على ذلك ولكنني أبكي على بشاعة ذلك اليوم إلى الآن .. غرز الشيطانُ قلبه في قلبي وأصبحتُ أنا وهو واحد ، لو أنني لجأت لربي وصليت لو أنني صبرتُ واحتسبت ، لكن لا أدري كيف حتى اخترقت وساوسُ الشيطان جسدي ربما لأنني كنت في أشد لحظات ضعفي ، عالجتُ نفسي كما كنت أعتقد بسهرات الليل و الأدوية التي كنتُ أتعاطاها كنت أشعر بالسعادة ليلا ، ونهارا أمضي كل ساعته نائما ، لا أدري عن مياسين شيئا سوى أنها في المستشفى للآن ، فقط تكفلتُ بمصاريفها كي أسكتَ ضميري الذي كان يصحو كلما تذكرت صورتها وهي مستلقية في تلك الغرفة البيضاء والأجهزة تحيط بها من كل جهة .

مضت شهرين على الحادثة زرت فيها المستشفى مرة واحدة ، فقد كانت تخنقني رائحته جدا بعد وفاتكما .. أوصيتُ إحدى الممرضات عليها وأعطيتها رقمي لتخبرني عن حالها إن تطورت ، في شهرين فقط تغيرت تفاصيل جسدي، انغرس السواد تحت عينيّ، وحل الظلام في بؤبيهما وصرت مظلما ، قاسيا لا أشفقُ على أحد وحتى نفسي ، مات قلبي للحد الذي ابتعدت فيه عن الله ، اقتربتُ أكثر ممن قلت لي إياك وإياك أن تصاحبهم . . وصاحبتهم ، تركت لنا من المال ما يكفي لأشتري حبوب السعادة الافتراضية .

أخبرتني الممرضة أن مياسين استفاقت من غيبوبتها ولاحظ الطبيب أنها فقدت جزءا من ذاكرتها أطلق عليه ربما اسم "فقدان الذاكرة الرجعي "، بحيث يصبحُ الشخص غير قادرٍ على تذكّر الأحداث التي وقعت قبل

الصدمة لكن يمكنه تذكر ما حدث بعدها وهي فقدت فقط الأشهر الأخيرة من الحادث ، كانت تعتقد أنها لازلت طالبة جامعية وأنها تحضّرُ لتخرجها عما قريب ، زرتها ولأنني لم أكن في وعيي كالأحمقِ رحتُ أخبرتها بما أخبرني الطبيب أن لا أفعله و أنه يجب إجراء بعض التحاليل قبل الإقدام على أيّ خطوة ما ويجب اختيار الوقت المناسب لأخبارها بما حدث لأن التعرض لصدمة جديدة قد تكون خطرا يهددُ ذاكرتها، ولأنني يئستُ من حالها قلت كل شيء دفعة واحدة ، لم أشعر بخطئي إلا عندما رأيتها تصرخ وتمسك برأسها رافضةً أن تسمعني ، أرعبتني حالتها تلك وطردني الطبيب المسؤول عن حالتها ولأني عجّلتُ في الأمر كانت صدمتها أكبر ولم تستطع تقبل أنها فقدت أهلها وحتى ذاكرتها و ما ألمني أنها ظلت قرابة العام تحاول التذكر ، تحاول إعادة الأشياء المفقودة من حياتها ، تذكرت في الأشهر الأولى الحادث وكيف انقلبت السيارة فجأة ، هذا ما أخبرني به طبيبها ولكنها لم تتذكر إلى أين كنتم ذاهبين، وما تعجبت له أنها لم تتذكر صديقتها وابنة عمتها في نفس الوقت وحتى خطيبها الذي فسخ الخطبة فور سماعه بالحادثة ، أخبرني الطبيب أن صدمتها متعلقة بهؤلاء الأشخاص الذين لم تتذكرهم ، لأن العقل يرفض ما عاش في الآونة الأخيرة فحارب الأمر بفقدان الذاكرة ، ذلك أن وظيفة الذاكرة الطبيعية تتضمن أجزاء كثيرة من الدماغ لذلك فإن أي مرض أو إصابة تؤثر على الدماغ مثل ضربة رأس أو صدمة عاطفية قد تتداخل مع الذاكرة وينتج فقدان الذاكرة الجزئي أو الكلي عن تلف هياكل الدماغ التي تشكل الجهاز الحوفي الذي يتحكم في العواطف والذكريات.

وعمتي يا أبتاه ، تلك التي كنت دائما توصينا بها لم تهتم لنا يا أبي وحتى في جنازتكَ وأمي لم تبقى طويلا ، ألمني كثيرا أنها تخلت عنا ، لم تزر مياسين أبدا لا هي ولا ابنتها التي كانت صديقةً ورفيقةً وأختًا لأختي ، أزعجني الأمر كثيرا لم أجد تفسيرا لمَ حدث إلا بعد مدة وكان ما عرفته قاسيا جدا . اهتمت جارتنا بمياسين طيلة العام الذي كانت تحاول أن تتذكر وكنتُ أنا أمر أحيانا فقط للبيت أترك لها مبالغ من المال وأغيب بعد ذلك ، كنتُ حريصا على أن لا أعطيها مالا حراما فكنتُ يا أبي أترك لها مما تركت وعن نفسي كنت أدبر بطرقٍ ما، أخجل من أن أذكرها لك حتى وإن كنت لا تسمعني ..

أتَذّكر عندما عدتُ في إحدى المرات التي غبت عنها ثلاث أشهر وجدت مياسين تحضر نفسها للخروج وكانت برفقتها فتاة جميلة عرفت أنها صديقةٌ جديدة لها في ذلك اليوم صادفت أختي خطيبها السابق فتذكرت كل شيء ودون أن نفهم شيئا استعادت يوم الحادث بشكل كامل وصارت حبيسة انهيارات عصبية ولم تكن بيدي حيلة سوى أني قررت وضعها في مصحة لتجاوز الاكتئاب الذي دخلت فيه ، أعتذر حقا كانت تحتاج فقط يدًا تُمسكها وتشعرها بالآمان وبأنها ليست وحدها في خيبتها لكنني فشلت ، وضاع عام آخر من حياتها لم تشفى نهائيا ما زالت تحاولُ أن ترمم بقاياها ، مازالت إلى الآن تحاول أن تنهض من جديد ، في هذه المرة رأت طبيبتها النفسية أنها تتجاوب مع الأطفال ، فاقترحت على صديقتها ياسمين أن تساعدها في العثورِ على روضة للأطفال حتى تتعافى قليل من روحها التي جفت في المصحة وفقدت بريقها بأدوية التخفيف من نوبات الانهيار تلك.

كان من السهل على صديقتها إيجاد مكان لها في إحدى الروضات عن طريق أحد المعارف وبدأت روح أختي تعودُ قليلا .. تمسكت بالأطفال ، وسجَّلتْ نفسها في دورة لتعلمِ الحلويات و فعلت الكثير من الأشياء الجديدة التي حسنت من نفسها و أشرق ذلك على وجهها .

صحيح أنني تركتُ أختي بأتم معنى الكلمة ولكنني كنتُ أعلم كل شيء من جارتنا التي كانت تشفقُ على حالها وحتى على حالي التي تسممت.. لا أدري لمَ ولكن ربما كان لصديقةِ أختي الحاسة السادسة ، كانت لا تتركني معها أبدا كانت تخاف عليها مني ، وفي إحدى المرات التي غابت عنها ، جلستُ مع أختي التي أصبحت لا تبالي بشيء ولا يسعدها شيء ، لم أرى فيها شيئًا سوى آثار جراحٍ عميقة لم يستطع أن يشفيها أحد وكنت قد بدأت ألعب بعقلها بعدما لم أعد أملك مالا يكفيني لأشتري ذلك السم الهاري .. أوهمتها بأنني أريد أن أنشأ لها مشروعا يحمل اسمها وعلى نياتها صدقتني ، ورطتها في قرضٍ باسمها استدنته من شخص استعطفته بقصة كاذبة ونسيت قصة القرض ذاك عندما انغمست أكثر في ظلامي ، بحث عني ذلك الرجل عندما عرف أنني خدعته وطال الأمر كثيرا ، كنت أجيد الهرب من كل شيء إلا من نفسي، اختفيتُ عاما كاملا عن مدينتي وغادرتها لكي لا يجدني ولكنني نسيتُ أني ورطت مياسين المسكينة التي انقطعت كل أخبارها عني .

عندما عدت وجدت مياسين تغيرت كثيرا ، بدا لي أنها استعادت قليلا من نفسها ولكن بهيئةٍ أخرى وتغيرت الكثير من الأشياء في مدينتي ، لقد أصبحت معلمةً في إحدى المدارس ، غرست وردا وأزهارا من كل نوع في حديقة المنزل

التي حَوّلتِها يا أمي لمجلس ورفضتِ أن تُزْرَع أيَّةُ نباتاتٍ هناك ، توفيت جارتنا أمُ الوليد وصارت أختي لا تجدُ أنيسها سوى تلك الصديقة المبهمِ كيفية تعارفهما ، أغلقت كل الغرف في المنزل وتركت غرفتها فقط وما أثار دهشتي أنها غيرت لونها البنفسجي الذي كانت تذوب فيه إلى الأسود ، علمتُ حينها أنها لم تعد مياسين نفسها بل مياسينُ أخرى .. كان للقدر رأيٌّ آخر وتم الإمساك بي في بيتنا من طرف رجال "سيمان صبراوي " الذي نصبت عليه باسم أختي ، خفت من ردة فعل مياسين خصوصا بعدما عاشت من أشياء رهيبة ولكني لو أردت أن لا يحدث هذا لفكرت حينها فيها ، كادت أختي تدخل السجن لولا أن الرجل أدرك أنني نصبت عليها فتزوجها على أن تسدد دينه ذالك ثم يذهب كل منهما في طريق آخر ، لم ترد مياسين الزواج ولكني أجبرتها وهددتها كثيرا حتى قبلت رغما عنها .

اليوم أنا الخائنُ في هذه الرواية ولن تغفِرَ لي أختي بقدر ما لن تغفر لكما يا أبي وأمي ، لن تسامحنا أبدا فأنا لا أعتقد أنها ستسامحُ من مروا وضروا وتركوا فيها ندوبا شوهت كلّ شيءٍ جميلٍ في داخلها فمياسين التي كنا نعرفها جيدا باتت مياسيناً أخرى وكما لم تحمل يوما صفات اسمها أصبحت تشبهها حقا ، لقد صارت نجمة بعيدة في سماء كل من يعرفها ، لا أحد يقترب ولا هي تقترب ، واختارت عزلة بينها وبين نفسها واكتفت بكتبها فقط وكنتُ السبب في ابتعادها عني كثيرا وغير أنني كنتُ أتركها لوحدها في البيت كنتُ عندما أعود كانت تستقبلني بحطامِ فتاةٍ عالقةٍ بين الأنقاض تبحث عن حضنٍ يلم جراحها قليلا ، كانت تخبرني عيناها أنها تبحثُ عن كلمةٍ تواسيها وكنتُ أنا أقابل كل مشاعرها ببرود تام، لم أرد أن أقترب منها كثيرا لأني كنت

أعلم أنني سأجد ذاتي التي ضاعت في ملامحها ، كنت سأتألم أكثر مما أتألم. أفزعتها بصرختي وأوجعتها بدفعي لها ولم أعلم بأنني دفعتها مرة أخرى إلى ذلك الظلام الذي لم تستيقظ منه بعد الحادث .

في الأيام التي كنتُ أبقى فيها في منزلنا كنت أسمع مناجاتها ليلا و حزنها بكاءا وانكسارها صمتا ، كلُّ ما كنت أراه فيها في تلك الأيام فتاةً كسرتها عواصف الدنيا وبقيت متمسكة بغصن قلبها ، تدعو الله أن يجبر انكسارها ، أن يعيد بهجتها وكانت تدعو لي أيضا حتى وإن كنت قد تخليتُ عنها وأحدثتُ بيننا غربةً مقدراها أوطانٌ من اللاشيء ،والجميل أيضاً أنّ بيتنا كان يستيقظُ صباحا على صوتِ القرآنِ مرتلاً من طرف شيوخٍ كانت مياسين تستمع لهم دوماً ..

تبكي الكثيرُ من الفتيات على أخٍ لم يكن لهن ، وتبكي مياسين على أخٍ كان أخاها وفجأةً في زحامِ العابرين ترك يدها واختلط بين الناس فلم تعد تميزه ولم تقدر على الحراك وظلت عالقة في المنتصف .

ليتني سندتكِ في ضياعكِ ، ليتني انتشلتكِ من انكسارِكِ ولكنني أنا أيضا انكسرت ولم أقدر على أنْ أصلح نفسي ، هل يكفي دمعي الآن لأكون أخاكِ من جديد قبل أن أموتَ بعد قليل؟ هل يكفي ندمي الذي لم تعلمي عنه شيئاً ليكفر عن تركي لكِ ؟!

مياسين! تركتكِ ألفا من قبل وسأتركككِ اليوم أيضا ولكن لآخر مرة ، أختاه لا تتركيني أنتِ بعد موتي .. رجاءًا اسمعي صوتي ، لا تتركني وإحتفظي بي كما احتفظتِ بوالدينا ، أعلم أنكِ تزورين قبريهما كل خميس وأعلم أنّكِ غرستِ

شجرةً يأكلُ الطير من ثمرها واحتسبتها لهما ، هل لكِ أن تفعلي لي أيضا؟! فذنوبي بلغت عتباتُ السماء ، فقط أتمنى أن يعفوَ الله عني.

مرت أربعةُ أشهرٍ على زواجها لم أزرها ولم أسأل عنها ولكنني اكتشفتُ مؤخرًا أنني مصابٌ بسرطانِ الدم ولن يطول الأمر كثيرا حتى أغادر ، بعتُ منزلنا يا أبي وأخذتُ ماله لأختي كي لا تبقى مدينةً لذلك الرجل بعدما أكل الندم قلبي ، لكنها رفضته وصفعتني كرجلٍ جمع من القوة سنينا طويلة . لا تقلق يا أبي سددت الدين ووصيتُ زوجها عليها لأني متأكدٌ من أنه لن يتركها ، هو لا يعرفُ كلّ ما مرت به ولكنني متأكدٌ أنه هو كتفها الآخر لقد جربته مرارا ، جعلت من يترصدُ لأختي ويخيفها فكان سيمان دائما يقف أمامها ولا يترك يدا تلمسها ، عرفت حينها أن القدر اختار لها جدارًا لا ينقض .

مر أسبوع يا أبي وعرفتُ أن خطيبها السابق خانها مع ابنة عمتي ، وعرفتُ أنكم السبب في الحادث ، تمنيتُ لو أنني لم أعرف غدركم أنتم أيضا لها ، الآن أنا أبكي على ما عاشته مياسين بسببكم ، عرفت كل شيء منها ومن دون أن تخبرني بشيء . . كيف ذلك؟! أبي قلت لكَ أن مياسين تغيرت كثيرا ، صارت تكتبُ كل ما تعيشه في دفاتر وجدتها في أحد الصناديق في غرفتها قبل أن أبيع المنزل ، لستُ سيئا إلى الدرجة التي لا أعيد لها ما تبقى وحتى أزهارها .

أخذتُ انتقامي من خطيبها السابق الخائن لم أُرد أن أصبحَ قاتلا ولكنني تركتُ فيه بصمةً تذكره دوما بأنه خان يومًا أختَ "سامي الهاشم " شوهت له وجههُ بسكينٍ حاد من أعلى إلى أسفل ، كلما نظر إلى المرآة تذكر خيانته تلك، تبقت ابنة عمتي كنتُ اليوم سأذهب لأوافيها حقها . ولكن يا أبي فاجئني أن

صديقي فؤاد عالقٌ بمشكلةٍ ما ويجبُ أن أكون ظهرا له في الحقيقة كانت ظهري مقر غدرهم لي فقط ولأن أصدقاء السوء توأمٌ للبعوض لا نعرف ذلك إلا بعد اللسعة فكنتُ قد أوليتهم ظهري فأولوني غدرا والسبب زينةٌ من الحياة الدنيا ، نعم كانت النقود هي أكثر الأشياءِ قذارة التي لوثت حياتي وبين دقيقةٍ وأخرى وجدتُ نفسي وسطَ أحدِ الأحياء المهجورة وأصدقائي حولي يعانقوني كُرهًا ويقبلونني ضربا ، ولأن جبني بلغ جبلا ومرضي الذي لم أعلمهم به بلغ سماءا لم أقدر على المواجهة واستسلمتُ لهم ، لقد طعنوني الآنَ في منتصفِ قلبي ، لا أقدرُ على إخراج نفسي ولا حتى إدخاله ولا حتى على مواصلة حديثي لنفسي ، بدأ الظلام يحلُّ على عيناي وبتُّ لا أشعر بجسدي ولا بشيء وفجأةً شهقةٌ خرجت من الأعماق وصوتُ جسد يتخبط ثم لا شيء..

في صبيحة اليوم التالي كتبت كلُّ جرائد المدينة : ***العثور على أحد الشباب مقتولا في أحد الأحياء الشعبية المهجورة .***

وكُتب تحت العنوان الرئيسي بخط صغير : تعرض إلى ضربٍ شديد في مختلف أنحاء الجسم وكذا عدة طعنات خنجر .

ورُغم أنه لا يمكنُ لأي شخص أن يتخلى عن عائلته مهما كان الأمر إلا أن هناكَ أشياءٌ ثقيلة قد تبني جداراً قويا بين أفرادها ونصبحُ غرباءَ عن بعضنا البعض ، كل ما نعرفه عن الآخر منا أنه يتنفس وما دون ذلك يقفُ الجدار الذي بنته الخيانة والكذب والجروح العميقة حائلا بين حُبنا وكرهنا فنضيعُ فيما بينهما من اللاشيء. تزورنا ذكرياتنا أحيانًا وتطفو الحزينة أكثر على

سطح قلوبنا وتحرقُ جروحنا بأملاحها ، صحيح أن العائلة وطن والأوطان لا تُخان ولكن العائلة دائما ما تصيبنا برماحٍ من الخيباتِ فتُشفى كلُّ جراحنا عدا جراحها هي تبقى حيةً تنزفُ بين الحينةِ والأخرى فصدق من قال أنّ المجروح من عائلته لا يُشفى .

الفصلُ الثالث:

سأتخلّى أنا أيضا. . .

استيقظتُ اليوم متأخرةً جدا بعدما عدت لتناول دواءِ النوم من جديد ولأن الأرق أصابني ليلا من قلقي الذي سيطر علي ومن أفكاري التي خنقتني ومن عقلي الذي سيذهبُ قريبًا بلا عودة ، اِرتديتُ أسدالَ الصلاةِ خشيةً من أن أجده في طريقي رغم أن رغبتي في أنْ لا أراه كانت تفوقُ جميع رغباتي ، نعم يخطر ببالكم كيف لزوجةٍ أن تستر نفسها عن أعين زوجها! ولكنّ زواجنا لم يكن حقيقيًا أبدًا تزوجتُ به كي لا ينهار ما تبقى مني ، كي أنقذَ نفسي من ضياعٍ بلا عودةٍ مرةً أخرى.

طيلة هذه الأربعة الأشهر التي كانت أعواما طويلةً على قلبي لم نكن مثل أي زوجين عادين ، كنا عدوين في بيتٍ واحد كان شعورنا موحدا جدا ، كنتُ أكرههُ وكان هو أيضاً غلبت تصرفاته العدوانية نحوي أكثر، أنا لم أرِد قربه مني بقدر ما أردتُ أن لا يؤذيني و أن لا يؤذي قلبي .

سأكون كاذبةً إن قلت لكم أني لا أفكر فيه ؟! في الحقيقة لا أدري هناك بعضٌ من صفاته أُعْجِبْت بها دون أشعر ..كثيرٌ من الأشياءِ تغيرت فيه طيلة هذه المدة التي عشناها تحت سقفٍ واحد ، أنا أكره شعوري هذا الذي يتملكني ، شعورٌ لا أقدر على تسميته إن غَابَ يفكر فيه عقلي وإن تواجدنا بمكانٍ معًا يرفضُ قلبي البقاء معه لا أدري في أي حفرةٍ قد وقعت .

حزينةٌ أنا جِدًا للحد الذي فقدتُ فيه قدرتي على التعبير عن نفسي ، مر وقتٌ طويل منذ أن بُحتُ لأحدٍ ما كيف أن قلبي يتألم فشِلتُ في كل شيء حتي في التعبير عن حزني و يُحزنني أنني حزينةٌ وما يحزنني أكثر أنني بِتُ وحيدةً

كورقةٍ سقطت في خريفِ الأيام وظلت الأحزان تعصفها هنا وهناك ، بتُ وحيدةً جدا، أشتاقُ أن يُشْعَر بي.. أن أحكي عن الجبال التي بَنتها الجروح داخلي ، أحتاجُ أحدًا ما يمسكُ يدي ويقول لي معكِ أنا ولكن ألهذه الدرجة لا أحدَ يريدُ أن يكون معي!

مسحتُ عبراتي التي كانت تنزل أكثر كلما قاومتها ، مزجتها بماء الوضوء وتركتها على هواها .. تعرضتُ للخيانةٍ كثيرًا هل أرفضُ هذا لدمعةٍ لا ذنب لها سوى أنّ قلبي آلمها ؟! لا فَلْتَتَطَفّل ما شاءت أعلمُ أن ربي سَيُلقي النُّورَ في طريقي ذاتَ يوم .

جلستُ أجمع حقائبي و أوظّب أغراضي سأبحث عن مكانٍ ما لنفسي لن أبقى هنا ، إن كان أخي من نفس الأم والأب قد تركني وباع منزلنا فماذا سيقول لي ابن الناس بعدما ينتهي دفعُ الدّيْن حقا ؟! لا سامحك الله ولا عفى عنك عمّا فعلت يا سامي ..(أستغفرُ الله . .أستغفرُ الله أسحبُ دعائي يا الله ، يا رب اصلحهُ . . يا رب إني عفوت) ، خِفتُ من دعائي الذي لم أعتدْ عليه فقد كنتُ أخشى أن أدعي على من ظلموني فأرى ثَأر الله فيهم فيُؤلمني قلْبي أكثر ، رُبّما لأنني أخْشَى أن أُؤْذِي يُؤْذِيني كُلُّ مَن يَتعرف عليّ .

ولأنّ الموسم الدراسي كان في أواخره ، تبقى فقط تسليمُ الدفاترِ لأهلِ تلاميذي ، اتصلتُ بالمدير أخبره بأنني أعتذر على عدم مجيئي اليوم ، أعتقدُ أنني سأترك هذه المدرسةَ أيضا ، سأغيُّر هذه المدينةِ مرةً أخرى لأن هوائها باتَ يَخْنُقُني كثيرًا .. وبينما أفكاري تُفَكّر مع بعضها البعض جاءت طرقاتٌ من باب المنزلِ ، رحتُ لأتفقد من الطارق ولكن الباب مُغلق ولا يُفتح حاولت

كثيرا ولم أستطع كأن هناك من أغلقه بقفلة أتوماتيكية ، تضاربت الأفكار في رأسي بعدما ملّ الطارقُ وذهب ولوهلةٍ شعرتُ بأنني مُحتجزة وأنّ سيمان من أغلق الباب . . تفقدت مكان المفاتيح ، لم أجد أي مفتاح بحثت في حقيبتي عن مفتاحي الاحتياطي فلم أجده ، تذكرت شجارانا البارحة وتأكدت من ذلك، إنه ذلك الأحمق حتى يمنع خروجي.

وقع بصري على دفتري ، على ما أذكر تركتُ عُلبة دواءِ النومِ هناك ليلا ، صُعِقْتُ لما جال ببالي ولكن للأسف لم تكن مجرد أفكار بل حقيقة ، اختفت وصفة الدواء أيضا .. حسنا تملكني شعورُ أنه سيعرفُ بأنني أنني كنت أتعالج و سأصبح مسخرة في أعينه وأعين عائلته وهذا ما لن أستطيع تحمله ، أعرف جيدا مجتمعي.. لا أحدَ يُساعدكَ على أن تنهض ، بالعكس ستكونُ يدكَ مليئةً ببصماتِ أحذيتهم التي وطأت عليها دون رحمةٍ ، كان كلٌّ من في حيِّنا السابق ينعتني بالمجنونة عندما زجني سامي في المصحة العقلية ورغم أنني تخطيتُ الأمر ولكنّ هذه الكلمة وُشِمت على قلبي جرحاً. لم أدرِ ما أفعل ولازلت لا أدري سأذهب قبل أن يأتي ، ارتديتُ ملابسي ووضعتُ ما أحتاجه في حقيبة ظهرٍ صغيرة على أن أرسل أحدا ليأتي بأغراضي المتبقية وفتحتُ النافذة نظرت إلى الأسفل ، كانت المسافة عالية أكثر مما توقعت وكانت تنتهي بجدار سميك متوسط الطول ،لمحتُ إحدى الجارات تحدقُ بالشرفةِ التي كنتُ أقف فيها وهي تتحدث على الهاتف .. بقيت أفكر للحظات كيف سأنزل بأقل أضرار ودون أن يراني أحد و في هذه الأثناء سافر عقلي بعيدا إلى : عندما كنتُ أخرج من نافذة غرفتي وأمرُّ عبر طابقين لأنزل تحت وأذهب إلى معارض الكتب التي كانت أمي تمنعني عنها ، ابتسمتُ لهذه الذكرى

وفرحِتُ كثيرا أن شيئا ما بقي مني ولو قليلا . الآنَ عرفتُ سبب تحديقِ الجارة بي، سيمان يتصل لابد أنه أوصاها ولكني لن أرد ، ولأنه عنيد أرسل لي رسالة: ردي حالا .

ولأنني أعند منه عندما اتصل أغلقتُ الخط في وجهه لم تَطِل مُدة عرفاني بغضبه فقد أمطرني برسائله الآمرة و لأول مرة منذ خمس سنوات جاءتني رغبةٌ شديدة في الضحك من قلبي لأن تهديداته لم تكن تُجدي نفعا ، أخيرا وصلتني رسالةٌ منه جعلت الدم يقف في عروقي : واللهِ إن لم تردي الآن على اتصالي لن أسامحك والله و والله ، لا تَنسِ أن من تُغضب زوجها تلعنها الملائكة.

اتصل مجددا وفتحتُ ويديّ ترتعشان هل صحيح ذلك! ولكننا لسنا زوجين حقيقين ، جاءني صوته الغاضب:

ماذا تفعلين في الشرفة هل تفكرينَ في الانتحار ؟

: أخبرتكَ البارحة أننا سنتطلق ..

قبل أن أكمل قاطعني : و أخبرتكِ بأنني لن أطلق ألا تفهمين ؟!

: ما شأني ؟! لماذا بدأتَ تحشر نفسك فيما لا يعنيك؟

سيمان : لأنك تعنيني ..

سكتتُ أستمع إلى الطبول التي تقرع داخل قلبي ثم قلتُ :إن كنت تمانع ذهابي من أجل الدين فهو لم يعد ديني ، لن أهتم وإن كنت تريد أن تزج بي في السجن فافعل ما تشاء فقط اتركني ..

سيمان : يا بنت الناس لا تزيدي حرفا على ما قلتي ، لن أسمع وقد شرحت لي طبيبتك بعض الأشياء وسآتي حالا لتشرحي أنتِ أكثر .

تملكتني مشاعرٌ ممتزجةٌ بالخوف والحزن ، لم أتحدث عما أصابني مطلقا لشخصٍ ما إلا لياسمين التي تعلم كل ما عشت بالتفصيل الممل أتذكر جيداً لقائي بها في المستشفى عندما استيقظت من غيبوبتي وزارني سامي وأخبرني أنني فقدتُ الذاكرة وأن والداي أيضا قد مضى شهرين على دفنهما ، على لا ما أعتقد أن صدمةً كبيرة أصابتني وبقيت أتخبط مع نفسي إلى أن اجتمع الجميع حولي وأمسكتني الممرضات كي لا أؤذي نفسي أما سامي لا أدري عنه كيف خرج من بين الموجودين ، التقيت بها في المصعد كانت مع جدتها المريضة تجرها من يدها وكنت أنا أحاول أن أهرب من المستشفى بعدما استفقت من المخدر ولازلت آثاره بعد والدموع تنساب من عيني والهالات السوداء تغطي تحتهما و الصفرةُ تكتسي وجهي ، ساعدتني حتى لا أقع وتركت جدتها عند إحدى الممرضات وتبعتني ، وفجأة أمسكتني من يدي واحتضنتني دون كلمة ، بكيت على كتفها ولا أدري كيف أخبرتها عن الحادث وعن أنهم يعتقدون أنني مجنونة لأنني لم أصدق أنني فقدت ذاكرتي ، ساعدتني كثيرا وصارت تلازمني بشدة إلى أن أصبحت صديقتي .. بعد صمتي هذا الذي ذهب بي إلى لقائي بياسمين أفاقتني مناداته لي من غفوتي

: يا بنت ، هل تسمعين ؟! مياسين . .

: نعم نعم أسمع ، ولكنني لستُ مضطرة لأن أخبرك بأي شيء ، رجاءا لا تضغط أكثر على نفسيتي .

سيمان : رجاءا لا تقدمي على خطوة دون علمي أنا في الطريق ولن أجبرك على شيء .

مياسين : حسنا ..

سيمان : وعد ؟!

صمتت لا أريدُ أن أعده لأنني حقا أريد أن أذهب قبل أن ألتقي به وتصبح نظراتُ شفقته تأكلني .

سيمان : عديني أرجوك !؟

أطفأتُ الهاتف ولم أرد عليه ، لن أعده ما يفيده معرفة ما حدث لي ، لا أريد أن أواجهه فما حدث لي يؤلمني كثيرا . توكلتُ على الله وأخفيتُ هاتفي وقررتُ أن أغامر وأنزل إلى تحت عبر الشرفة ولكن أزعجني صوتُ تلك الجارة التي ظنت أنني سأنتحر : لا تخافي مررتُ بالكثير من الأشياء المؤلمة ولم أنتحر ولن ..لازلت رحمةُ الله بقلبي ، قلتها وأنا ألوّح لها وابتسامةٌ مَا لا أدري من أين جاءت تشقُ وجهي .

واحد ، اثنان ، ثلاثة بسم الله ، يا رب ساعدني قبل أن يصل ودون أن يحدث لي شيء ، وضعتُ قدمي على الحافةِ الأولى ودقاتُ قلبي تدقُّ طبولا وتعزف على أوتارَ مشاعري توترا ، صياحُ الجارة أهلكني عندما قالت : اِلْحَقْ يا سيمان اِلحق ، تمنيتُ لو كنتُ أملكُ حجرا هناك أرميه على فمها ذاك ، ظننتُ أنها تخيفني باسمه إلى أن أطلَّ علي بكاملِ جسده من الشرفة وهو يصرخ : يا مجنونة قفي مكانك ستقعين من هناك ، يا رب ..

أربكني صوته كثيرا فانزلقت قدمي عن الحافة وجرحت يدي اليسار قليلا ولكنني أحكمتُ الإمساك قبل أن أقع و كل هذا تحت صرخاته : يا مجنونة توقفي سأساعدك ..كنت أسمعه وهو يصرخ ويدعي الله أن يحفظني ، صرتُ مرتبكةً أكثر بدأت أصوات الجيران تعلو وتصرخ في أذني وتُشوش تركيزي ، كنتُ أتقدمُ خطوةً خُطوة ، ثم أنزلُ إلى العمودِ الإسمنتي الصغير .. أخيرا باتت تفصلني عن الحائطِ المتوسط مسافةٌ قصيرة تحَل بقفزة رفعتُ رأسي باتجاهه أنظر إليه لا أدري لِمَ ولكن ربما أردت أن أطمئنه حتى يهدأ ، عاد سريعا إلى الداخل ثم قفزتُ أنا على صرخةِ تلك الجارة المزعجة ، لم أعرف كيف أضع قدمي على الحائط عندما قفزت فُجِرحتْ قليلا ، توقفتُ مُمسكةً إياهُ بقوة حتى يتوقف النزيفُ قليلا ، نظرتُ إلى المسافةِ المتبقية بين الحائط والأرض ، لا شكّ أن قفزةً أخرى لن تنفع يجب أن أكون أكثر حذرا . وقفت ثم جلستُ على الحائط و أمسكتُ بيديّ جيدا حتى صارت قدماي تتعلقان في الهواء وأنا أجهز عقلي للقفز ، واحد ، اثنان ، ثلاثة : لا شكراً ولا عفوًا فيما فعلتي ! آتاني صوته الغاضب ممسكا بي جيدا تحت تصفيقات جيرانه المجانين ، تركني على الأرض وأخذ حقيبتي مني وأمسك يدي وجرني ، ولكني سحبتها بكل ما أملك من قوة :

قلتُ لكَ أتركني لن آتي حقا ، كنتُ أبعد نظراتي عنه حتى لا تقع عينيّ في عينيه وتنهزم نفسي . صك على أسنانه بغضب وقال : لن أعيد كلامي إلى البيت حالا .. لا أدري ما الذي دفعني إلى الانصياع إلى كلامه ، هل خفت ؟! لا أدري ولكنني رأيتُ أنه بدأ يعيد لي مشاعري التي ضاعت مني ، ضحكت .. خفت .. غضبت .. بدأتُ أستعيدُ نفسي وأحتاجُ أن أتأكد لذلك تبعته إلى

المنزل وأنا أعرج بقدمي تلك وأمسك يدي التي أحسست الآن بها بعدما برد الدم في جسدي ، ونحن في الدرج لاحظ تأخري عليه في الصعود فأمسك بساعدي يعينني على تسلق الدرجات ولكنّ مسكته تلك آلمتني كثيرا ربما لايزال غاضبا مني، نزعتُ يدي منه وفركته ثم قلت بنبرة غاضبة أيضا: لا تدع يدك تلمسني مرةً أخرى ، لقد حذرتك..

لم يَرُد فقط انتظرني حتى صعدت ثم فتح لي الباب ، دخلتُ وأنا شبه خائفةٍ مما سيحدث إذ يقال أن الرجال الذين يكون غضبهم قويا لو استعملوا كل طاقتهم وقتئذٍ لتمكنوا من تدمير العالم بأكمله وسيمان ينتمي إلى هؤلاء الغاضبون الذين لا يمكنك تحديد ردة فعلهم ، صفع الباب بقوة وألقى بحقيبتي أرضا وأمسكني من عنقي ساندا أيّاي على الحائط ، أحرقني بنظرته التي كانت تشيط غضبا ..حقيقةً خفتُ كثيرا وفرحتُ أكثر أردتُ أن لا ينتهي هذا الشعور الذي اشتقته منذ مدة ، وفي عز غضبه ابتسمت لأني شعرتُ بأن شعورا قد عاد لمكانه ، أغضبَته ابتسامتي فثار بركانُ غضبه عليّ وزاد من الضغط على عنقي ، شعرت بأن جسمي اِخترق الجدار من هو الألم ، حاولت أن أتخلص من يده التي تخنقني ولكن قوته أكبر وما كان مني إلا أن عضضته ثم ركلته بقوة وهربت إلى أول غرفة والتي كانت غرفته هو وأغلقتُ الباب التي لم أجد مفتاحها وتذكرت أن كل المفاتيح معه لم أدرِ أين أختبئ هل أتجه إلى الشرفة ؟ لا الجيران ، لم أقدر على أن أفكر كثيرا عندما سمعت خطواته تتجه إلى نفس المكان الذي أنا به ، فقط فتحت باب الشرفة و اختبأتُ وراء باب الغرفة . فتحه بغضب وهو يصرخ يا بنت نحن لا نلعب سأريك اليوم فِعْلاتُكِ هذه ، كان محقًا سامي عندما زجّ بك في

مصحة الأمراض النفسية والعقلية، جال بصره في الغرفة وهو يلقي على قلبي صخورا من أعلى القمة الى الأسفل أينما أتواجدُ أنا بكلامه القاسي .. مجنونة تستحقين كل ما أصابك حقا لم يتركِ الناس عبثاً ... تركته حتى اِتجه للشرفة و أمسكتُ بقايا كرامتي وخرجتُ من الغرفة ، أخذتُ حقيبتي ونزلتُ الدرج أجري بقدمي العرجاء التي أعاقت تقدمي ، ووديانُ من الحزن تضربُ بمائها على قلبي ، اِبتعدتُ عن المنزل قليلا و نفضتُ ملابسي من غبار سقوطي قبل قليل ومشيت إلى وجهة مجهولة ، أعدت اِشعال هاتفي وفورا اِتصلتُ بياسمين :

ياسمين ليس لدي الوقت كثيرا هل لي بسؤال !

ردت ياسمين مرتعبة : مياسين ما الأمر ما به صوتك !!

: لا شيء هل يمكنني أن آتي إلى عندك؟

ياسمين :طبعا حبيبتي في أي وقت ولكن ما بكِ ! قالتها بهلع ..

: سأشتري التذاكر اليوم بإذن الله وسأخبرك في أمان الله الآن ، سأتواصلُ معكِ .

فور ما اِنتهيت من محادثتي مع ياسمين رن الهاتف مجددا بِاسمه ،فأغلقته مرة أخرى و أزلتُ حتى البطارية من غضبي واِتجهتُ إلى أقربِ صيدلية وعقمتُ جراحي هناك بمساعدة الصيدلانية، مشيتُ ربع ساعة ثم جلستُ أفكر في إحدى الأماكن العامة التي تطل كراسيها على البحر والطريق معا ، وفجأة لمحته يمر بسيارته من هناك وهو يبحث عن شيء ما " إنه يبحث عني".

اِرتبكت وجمعتُ أشيائي بسرعة و بهلع رُحتُ أغطي وجهي وأمشي في الاتجاه المعاكس له وفجأةً دون أن أدري اِرتطم كتفي بفتاةٍ شابة كانت تحمل في يدها علبة كعك ، وسقط كل شيء على الأرض وتخربت الكعكة وتلطخت ملابسي، هكذا أنا كل الأشياء التي ألمسها أُفسدها .. فاجئني أكثر أنها لم تصرخ علي فقط احمرّ وجهها الأبيض و بكل رقة وعينين دامعتين نظرت إلى بقايا الكعكِ المُرمى على الأرض و إلى ثيابي التي غطتها الكْريمة ، اِتجهت نظراتي في كافة الأرجاء فتوترت عندما رأيته في سيارته يقود في نفس الاتجاه الذي أنا فيه ، لم أفكر و اِرتميتُ أعانق تلك الفتاة وأنا أردد خبئيني رجاءا ، طبعا فاجأتها بردة فعلي ، عندما رأيته يبتعد طلبت العفو منها فقالت :لي لا بأس لا تهتمي وعلامات الاستفهام تجول في عينيها ممن أختبئ .. و منذ مدة لم أحدث أحدًا عن نفسي قلتُ لها بلا سؤال منها أختبئ من زوجي .. جمعت بقايا الكعك وأعطيتها العلبة فضحكت برقة على ردة فعلي البلهاء وقالت: هل يمكنني أن أساعدكِ ؟

: نعم ساعديني أرجوكِ أريد أن أجد مكانا أغير فيه ملابسي هذه، كنت متسرعة في كلامي و كأن الوحوش تجري خلفي ولكن كان هو الوحش.

تمشيتُ معها قليلا وأنا أفكر فيما سأفعل والصمتُ متربعٌ على عرش رُوحَيْنا كانت رقيقةً ..هادئة.. خجولة .. تخافُ أن تقتل الأرض خطأً وهي تمشي عليها ، لقد كانت جميلة جدًا ككعكةٍ قبل أن تقطع إلى أجزاء ، كانت بيضاء كما النرجس ، وكان قلبها أنصعُ من الثلج ..هكذا أخبرت نفسي بعد موقفنا هذا الذي لم تغضب منه . وصلنا إلى إحدى المحلات الكبيرة وسط المدينة والذي

كانت تعلوه لافتةٌ كبيرة كُتِبَ عليها Mina Cake ، إنه محلٌ مشهورٌ كثيراً يعرفُ ببراعةِ صنع الكعك والحلويات إذ يقالُ أن مذاقها يبقى عالقا في الذاكرة للأبد وقد ذاع صيته في مدة قصيرة إذ يأتي الكثيرُ من الزوار إليه من مختلف المدن، لم آت إلى هنا من قبل ولكنني سمعتُ عنه بأنه يقدم ألذ الكعك على الإطلاق، ظننتُ أنها ستشتري كعكة جديدة بعدما تخربت الأولى، دخلتْ وقالت لي تفضلي .. تفضلت وراءها وأنا مستغربةٌ من ترحيب الجميع لها وهي ترد عليهم بكل حياء . .حتى قالت إحدى الفتيات التي كانت جالسة تبيع الكعك للزبائن : أهلا بكَ يا جعفر وضَحكت .

اِستغربتُ واِستدرتُ أبحث عن رجلٍ ما ولكنّ رد الفتاة التي اِصطدمتُ بها أزال استغرابي ، اِحمر وجهها وقالت : قلتُ لكِ آلاف المرات أن اِسمي هو أمينة وليس جعفر .

ضحكتُ كثيرا على ما سمعت منهم حتى كدتُ أختنق.. تناديها جعفر يا إلاهي وعلى ضحكاتي ضَحِكتْ الصديقتين وتعرفنا على بعض :

مرحبا أنا مياسين ..

ردت بابتسامة عريضة : وأنا صوصو ..

قلت مستغربة : صوصو ؟!

فضَحِكت أمينة وقالت : اِسمها صورية ولكن صديقتنا سلمى تناديها هكذا و بعد مرور الكثير من الأعوام صارت ترفض اِسمها .

ابتسمتُ لهما و قلت: و أين هي سلمى هذه!

ردت صورية باندفاع : في المالديف وضحكتْ وما أضحكني ضحكتها تلك مع حركات الركوع والسجود ..

استغربتُ وقلت لا إراديا : ربما وقعتُ في أُناس أغنياء ما شاء الله ، فضحكتا على قولي هذا مما خجلتُ أكثر وأنا متعجبة ، رفعت أمينة أحد حاجبيها وقالت: صورية تمزح ليست في المالديف ، إنها مشغولة منذ ثلاثة أشهر .. تلتزم البيت ، ضحكت صورية وقالت : ربما تحفر في أنفاق الألماس هناك.

ضحكنا ثلاثتنا وأنا مسرورة من صحبتهما معًا ، كان الجلوس معهما قليلا يجعلني أضحك كثيرا ..إنهما رائعتين جدا ، ربما اِنغلاقي عنِ الناس لفترةٍ طويلة جعلني أنسى أن هناك قلوبًا طيبة ترتاح لها الأنفس ..

قالت صورية وهي تنظر إلى ثياب أمينة مستفهمةً: ما بها ملابسك ؟!

أمسكتُ طرف حجابي وأنا أنظر بخجل نحوها من فعلتي فأنا السبب في اِصطدامنا، وقبل أن تنطق قلتُ بنبرةٍ غلب عليها الإحراج : اصطدامٌ عنيف.

ردت أمينة مزيلة عني حرجي : لا عليك .. أنا المخطئة ، تعالي معي إلى هناك كي أدلكِ على مكانٍ تغيرين فيه ملابسك و قبل أن تتقدم أمسكتها وهمست في أذنها: ألا يجبُ أن نسأل صاحبة المحل قبل أن ندخل إلى هناك ؟

ابتسمت في خجل وقالت :المحل لي ، أنا صاحبته وصديقاتي تساعدنني هنا.

نظرت لها في خجل وقلت تبارك الرحمن...أعانك الله يا أمينة ، جميلٌ جدا أن ترى اِنسانا صغيراً في السن وقد بلغ السماء نجاحا في أيّ شيء ..دمتِ ناجحةً اليومَ وغداً بل و أبداً.

غيرتُ ملابسي وخرجت أشكرهما كي أواصل طريقي لكنهما أصرتا على اِستضافتي وقدمتا لي كعكا وعصيرا وجلستا معي تتحدثان و كنتُ أنا جدُ خجلةٍ منهما فصمتتُ أستمع إلى صمتيهما الذي يقطعه سؤالٌ ظريفٌ أحيانا وتعليقاتٌ مضحكة أحيانا .

دخل أحدهم إلى المحل لعله أحد الزبائن ، كان متوسطُ الطول ،أسمر البشرة تزينُ وجهه لحية سوداء .. لا أدري لمَ وجه نظراته لي فور أن رآني ثم أشار للعاملة بأن تناديني وهذا ما فهمته عندما تقدمت نحوي تخبرني بالأمر ولكنني رفضتُ لقاء هذا الغريب فعادت إليه مرسلةً له رفضي ، فشاط غضبا وملأ المكان صُراخا على العاملة ، نهضت أمينة وصديقتها صورية تريان أمرَ هذا المتطفل وبقيتُ أنا مكاني محاولةً تذكُر أين رأيته من قبل . لاحظتُ أن أمينة كانت تخجل أن تتحدث فكانت صورية هي من تتحدث وما لبثت يداها أن تقف مكانهما تذهب هنا وهناك وكانت عيناه تذهب معهما ، زادت حدةُ النقاش إلى أن اِرتفع صوت صورية قليلا : اااه الباب هناك تفضل وإلا تفضلتك رغما عنك..

و قبل أن يخرج نظر لي بنظرةٍ لم أفهم معناها ، عاداتا واِعتذرتا عما حدث . أخبرتهما أنه حان وقتُ ذهابي بعدما خفت أن يعود هذا الغبي ويفتعل مشكلة ما ، عانقتهما خفيفا ووعدتها بلقاء آخر في يومٍ آخر، أعطتني أمينة بطاقةً تحمل رقم الهاتف وعنوان المحل وأخبرتني أنها بانتظاري وقت ما شئت .

ما كدتُ أخرج حتى وقع بصري على سيمان وهو يدخل المحل ووراءه ذلك الشاب ، ارتبكتُ كثيرا وتذكرتُ أنه صديقه معتز .. لقد رأيته في العرس .

صرخت صورية مجددا : أحضرتَ رفيقك إذا .

رد غاضبا : نعم أحضرته وإذا لم يعجبكِ ذلك فاختاري جدارا و اضربي برأسكِ عليه ..

كادت ترد بعدما أصبح وجهها أحمرا من الغضب ولكنني أمسكت يدها وقلت لها ، لا تقلقي يبحثان عني .

صورية : من هذان هل أتصل بالشرطة؟!

رد معتز مقلبًا عينيه نحو السماء : أوه أكثرتِ ، هل تبحثين عن المشاكل أنتِ ؟

سحبت أمينة صورية من يدها محاولةً تهدئتها بعدما أدركت أن حربا كبيرة على وشك أن تحدث ولكن صورية قالت غاضبة محاولة الإفلات من رفيقتها :سأريكَ كيف تكون المشاكل.. أماّ سيمان فكان يراقب تصرفاتي وينتظرُ أن يقع نظري عليه ولكنني تجاهلتُ ذلك..

قلت لصورية محاولةً فك هذا النقاش الذي لن ينتهي : لا تقلقي يا صورية إنه زوجي وصديقهُ معتز .

قالت صورية بنبرة مشمئزة : اِسمُ هذا الغبي معتز إذا ..

كاد معتز يرد لولا أن سيمان أشار له بكفه حتى ينهي هذا النقاش ثم تقدم نحوي وقال : بلا مشاكل ، بلا صراخ ، بلا أي فضيحة تفضلي خارجا .

ودعتهما وخرجت قبله وجدت صديقه المتطفل ينتظرنا ، نظرت له باستهزاء ووقفتُ بعيدا عنه أنتظر سيمان الذي دخل إلى أحدِ المحلات ليقتني بعض الأشياء وكان التوترُ قد نهش عقلي كليّا ودموعي تنسابُ على خدي سريعا وقبل أن تصل للمنتصف أمسحها خفيةً . جلسنا في إحدى المقاهي لكلا الجنسين ولكن ليس نحنُ الإثنين فقط ، هذه المرة رافقنا صديقه وهذا ما اِستغربته أنا لكن لم يطل اِستغرابي طويلا عندما تحدث : أولا أعتذر منكِ لأنني أخبرتُ زوجك بمكانك ولكن ..

قاطعه سيمان : لا أفهم لمَ تعتذر ؟!ستخبرني طبعا .

أما أنا فلم أرفع رأسي أبدًا كنت أستمع وألعب بالكأس الموضوع أمامي ولكن غيمةً من الدموع بدأت تتشكل مجدداً داخل أعيني عندما أدركتُ أن معتز يعرف بزواجنا المزيف ، حتما أخبره أنني دخلت إلى المصحة.. . تزعزعت ثقتي بنفسي قليلا أو ربما كثيرا منذُ حادثةِ الخيانة الأولى، لذلك كنت أرفض أن يعرفوا عني كنت أريد أن أبقى صندوقا مغلقا لا يفتح .

عندما أدرك معتز أنني لا أرفع رأسي كي لا تُرى دموعي تركنا لوحدنا قليلا .

ساد الصمت بيننا إلى أن سمعته يخرج تنهيدة من أعماقه ثم قال وهو يحاول أن يختار كلماته بعناية : لا تبكي ، لم أعد غاضبّا منك نعم بالغت وبالغت كثيرا ولكن تهون علي عيناك الجميلتان تلك أن تبكي.

لم أرد عليه ، لأني خجلت من كلماته الأخيرة فقط حاولت أن أمسحها بكف يدي وأنا أحدث نفسي داخلا " كوني قوية... كوني قوية ".. .

أضاف عندما رآني صامتة : لم يكن لقائنا جميلا حقا، ولم يكن زواجنا جميلا أيضا ولم نتفاهم حقا وجمعتنا شجاراتنا أكثر.. أعلم ولكن قرارِكِ المفاجئ بأن تتركي كل شيء دفعة واحدة لم أستطع أن أتقبله .

رفعت رأسي وتلاقت عيناي بخضرة عينه وتراقصت مشاعرنا حولنا لوهلة ، ثم قلت : أن ننفصل أفضل وهذا ما تريده أنت من البداية ..

سيمان : كيف ذلك ؟ لم لا تردين أن نفتح صفحة جديدة بيننا ! .

قلتُ بنبرةٍ حزينة: أنتَ لا تعرف عني شيئا وحتى أن ما عرفته جزءٌ بسيطٌ فقط ، لا أريد أن أعيش خيبةً أخرى لأنني حقا لم أستطع أن أتجاوز الأولى، كذلك تصرفاتك تحزنني كثيرا في بعض الأحيان فلا أعتقد أننا بإمكان بدء صفحة جديدة معا ..ربما تكمن الراحة في التخلي ، لا تتمسك.

وضع سيمان يده على قلبه وقال : أعتذرُ كثيرا عن غبائي ، أعدكِ سأتخلى عن كل طباعي التي تؤلمكِ ولكن لمَ سأجعلك تعيشين خيبة ما ؟! أخبريني عنك وسأخبرك حقا إن كنت سأتخلى..

قلت بعد تنهيدةٍ طويلة : لا تتخلى عن أيّ شيء من أجل شخصٍ ماَ ، لست مضطرا لذلك ولكن لا أريدك أن تعرف حتى لا أجعلكَ تقع موقع خيارين لذلك أنا اِخترت الجواب "لا" بدلا منك.

سيمان : أنتِ لا تعرفينني جيدا ..ولم تسنح لنا الفرص أيضا لنتعرف على بعض بعمق..

قلتُ بحزم: ولا أريد أن أعرف ،أن نبقى غرباء أفضل شيء بالنسبة لي من أن نفتح صفحة جديدة وننهيها بعودتنا غرباء مجددا.

قال سيمان مازحا بعدما رأى شرودي بعيدا عنه : هل تستمتعينَ كثيرا عندما تعانديني ؟! أم يوجد في عقلك جدارُ سميكٌ يرتطمُ كل الكلام به؟

ابتسمتُ وقلت : لا أحد يضاهي عنادكَ أنتَ ..

قال معانداً : لا ليس كذلك .. بل أنتِ..

ضحكتُ هذه المرة وضحكَ هو معي ثم أمسك يدي بلطفٍ وقال: ما رأيكِ أن نُصبح أصدقاء إذا؟! ثم إذا لم تتوافق صداقتنا نتطلق برضاً من كلاينا ؟؟

سحبتُ يدي مرتبكةً منه ثم قلتُ داخلي في الحقيقة أنا أحتاج أن يكون لي أصدقاءٌ أرتاحُ بصحبتهم فأنا أريدُ أن أتعافى ويتعافى قلبي أيضاً فقد قرأتُ ذَات مرة أن المرء لا يتعافى إلا بقربِ أصدقاءه .لم أعطه جوابًا مباشرا بأنني قبلتُ صداقته ولكني لمحت ، فرحَ كثيرا وفرحتُ أنا لفرحه بذلك ولو كان الأمرُ بسيطًا فقد راق لي كثيرا أن أراهُ سعِيدا .

نحنُ اليوم في نهايةِ الأسبوع وسيأتي ليعيدني إلى البيت بعدما رجوته أن أقضي أيامًا رفقة ياسمين ، أفادني كثيرا تواجدها معي ولو لأيامٍ قليلة ، أماّ عم صداقتي معه فقد أخذت منحنى آخر ، في الأول كنت أخجل أن أناقشه أو أتحدث معه ولكنه فك عقدتي بمزاحه معي ، ثم انغمستُ أيضا وشعرت كأنني التقيتُ به من قبل وكأننا نعرف بعضنا البعض جيدا من قبل ، أسعدني أنه لم يفتح موضوع المصحة مرة أخرى ربما تخطاهُ .. لقد اِزداد

اهتمامه بي أكثر وزادتْ نبضاتُ قلبي نحوه ، فطيلة الأيام التي قضيتها رفقة صديقتي كان يتصل بي ليطمئن علي في كل وقت..

بعد أحاديثٍ طويلة وضحكاتٍ كثيرة صمتنا قليلا نحفظُ جمال شعورنا هذا قلت له: سيمان هلاّ توقفت قليلا .. رجاءا أريد أن أشتري مناديلا ورقية وقارورة ماء . .

سيمان : سنأخذ استراحة إذًا ونتجول هنا قليلا ما رأيك ؟!

قلت له وأنا مبتسمة : نعم الأمرُ يناسبني ، جميلٌ هو التغيير.

كنا نتجول ونحن نتجاذبُ أطراف الحديث حول موضوع ما ثم توقفنا عند إحدى المكتبات .. دخل سيمان يشتري وبقيتُ أنا خارجا أجول ببصري نحو المجلات و الجرائد فلفت اِنتباهي أحد العناوين القابعِ على أول جريدة : ***العثور على أحد الشباب مقتولا في أحد الأحياء الشعبية المهجورة .***

بحثتُ عن الصفحة ثم بدأت أقرأ و في قلبي شعورٌ مؤلم لم أدري سببه ربما من تأثير الخبر . فتحتها فوجدتُ صورة سامي موضوعة بجانب الخبر فتزايدت دقاتُ قلبي أكثر .. وارتعشت يداي راقصة خوفا:

"عثرت مصالح الأمن لولاية " جيجل" أمس على شابٍ في مقتبل العمر ملقى بأحد الأحياء الشعبية المهجورة وتعود هوية الضحية إلى ابن أحد العائلات المعروفة سابقا "سامي الهاشم" و التي لقيت حتفها في حادث مرور أليم قبل ثلاث سنوات حيث تعرض للضرب في مختلف أنحاء جسمه من قبل أشخاص لم تحدد هويتهم بعد ، فيما عُثِر على آثار أربع طعنات خنجر على مستوى الصدر وكذا الحوض وقد فارق الحياة في عين المكان ، في انتظار تقدم أقاربه إلى مصلحة الشرطة لأخذ

الإفادات وكذا التوقيع على تسليم الجثة في حين فتحت مصالح الأمن تحقيقا في ملابسات القضية . {إنا لله و إنا إليه راجعون}"

بردت روحي و شعرتُ بضبابةٍ تمر فوق بؤبؤي عينيّ ولم أعد قادرة على اِستيعاب أي شيء حتى قدماي ما عادت تسطيع حمل جسدي ، فقط أصوات ضجيجٍ غير مفهوم التقطتها أذني وصورٌ مشوهة لأشخاص لم أميزهم..

اليومَ فقط ، تخلى عني الجميع وأصبحتُ شجرةً بلا عروق ، فراشةً بلا جناحين ، وردةً بلا رائحة ، إنسانا بلا أحد.. مؤلمٌ و قاسٍ هو رحيلُ الأحبة حتى إن كانوا آلمونا يوما ، قد كُنا نعلم أنهم بخير وكان هذا يكفينا ، ولكن الآن لا أحد أعلم عنه بأنه يتنفس في الجانب الآخر من العالم و مرةً أخرى تركوني أيضا ، تعبتُ من أن أُترك دوما لمَ لا أترك يدي أنا أيضا ..ولأني تعبت من نفسي هذه المرة سأتركها أيضا ربما حُكِم علي بالقاع مؤبدا .. سأتخلّى أنا أيضا . . سأتخّلى.

الفصل الرابع:

في القاع . . .

في القاعِ حكاياتٌ كثيرة لأشخاصٍ تفرقت أرواحهم مع كلّ قصةٍ مؤلمة تلتها عليهم الدنيا على شرفِ من يحبون ، في القاع ظلامٌ يخنقُ سعادتك دوما و يسحبكَ نحو أسفله دوما .. في القاعِ مدينةٌ كبيرةٌ من الأوجاع اجتمع فيها كل من حَزنوا ، كلّ من تركوا ، كل من تألموا.. والكثيرُ من كلّ.. ولكل منّا حكايةٌ تؤلم أكثر من أُخْراهاَ، أصعب ما هناك أنك لن تعرف المكان كيف يبدو! ستكون كالأعمى الذي فقدَ سمعه واغتال القدرُ صوته ، ستبقى في مكانك مربطا بحبالٍ قاسيةٍ تسمى : عقدة .

لا تثق كثيرا ولا تُحبَ كثيرا حتى لا تقع يوما ما هناك، لن تنهض مجددا بعمقِ الخيبة التي أصابتك فحتى وإن انتصرت على حربِ نفسكَ فأنت خاسر، خاسرٌ لكثيرٍ من الأشياء التي كنتَ تحملها داخلك قبل أن تقع أنت وتنكسر هي ..

قبل خمسِ سنوات...

قد يحدثُ وأن يعيش المرءُ طفولةً قاسية يُجْهل سببها، كأن يظل يبحث دوما عن السبب ولا أحد يجيبه ، أتعرفون ما هو أكبر عقاب يحصل عليه من جرحونا؟! أن لا نسألهم هذا السؤال أبدا "لماذا ؟" لا تسأل هذا السؤال في حياتك مطلقا فهو أكبر عقابٍ لهم ، بسؤالك لهم ستفتح بينك وبين القاع شرخًا لا يعادُ اصلاحه ، لذا أُترك الشرخ مفتوحا بينهم وبين أنفسهم فقط ، لا تجعلهم يتخلصون من عذاب ضميرهم ، لا ترِحهم عندما تسألهم بِـ" لماذا"، أمّا أنت فيومًا ما ستجيبك الأيام عن سؤالك " لماذا" فتمهل ...

لم تطرح مياسين هذا السؤال أبدا على أمها التي كانت تكرهها ، خافت أن تعرف السبب فتكره نفسها حقا.. خافت ونجت لأن "من يخاف دائما من ينجو" .وقد كان صراخُ ميساء والدةِ مياسين يملأ البيت كثيرا كانت كثيرةَ التذمر على اِبنتها ، كانت دوماً تهتم بسامي وتضعه في المقام الأول أماّ مياسين فكانت تقف دوما خلف هامشِ المحبة وكانت تكره أن تراها تضحك ولكن ابنتها عنادا فيها تضحك وتضحك رغم أن شعور الاستبعاد و اللاحب يُؤلمها كثيرا لكنها كانت تهدي أمها حبا مقابل كرهها لها الذي نمى فجأة عندما فقدت توأم مياسين ، كانت قد مضت شهرين منذُ أن ولدتْ "ميساء" توأمين نسخةً عن بعض فقط شامة صغيرة في وجه "ميس" . تعرضت لحُمَّى شديدة ولم تنتبه لها أمها لأنها كانت تحمم "مياسين " وعندما اِنتهت من ذلك كانت الحُمى قد أكلت جسدها الصغير أكلاً ، أخبر الطبيب زوجها ياسين أن الحُمى كانت كبيرة على جسم الطفلة ويخشى أنها أهلكت عضوا داخليا ، لم تمضِ سوى يومين حتى توفت الصغيرة تاركةً حُرقة بحجم مجرة في قلب أمها ، ومن يومها اعتزلت "ميساء" تربية التوأم المتبقي ووقعت المسؤولية على عاتق

"ياسين" .. وحملت مياسين ذنبا لم ترتكبه سوى أن "ميس" لم يكن لها قدر أن تعيش فيه سوى شهرين .

مضت طفولتها بشكل قاسٍ ممتزج بالفقر والكره ممن أنجبتها ، كانت تحاربُ كل شيء بابتسامةٍ ساحرة و جُملةٍ حفظتها عن ظهرِ قلب " ذات يوم ستشرقُ لنا الأيامُ الجميلة فلا تكترث "، تغلبت على كثيرٍ من المشاكل والسخريات التي كانت تتعرض لها من أقرانها ، مضتِ الكثير من الأعوام وهي تتحدى الدنيا و هذا هو عامها الثاني في الجامعة كانت رفيقتها وصديقتها الوحيدة هي اِبنة عمتها رقية ، كانتا لا تفارقانِ بعض أبدا في الجامعة ، في المنزل وفي كل شيء حتى في القلب لم تكونا تفترقان ، امتزجت حياتهما الجامعية بنكهة من البهجة والسرور ، لقد كانتا أختين بالقلب والروح ، ما يحزنُ الأولى يبكي الثانية ... وهكذا .

كانت مياسين تعيشُ لحظاتها بعمقٍ متيقنةً أن لا شيء يستحق الحزن .. تحتفظ بداخلها على روح جميلة نسجتها من الكتب التي كانت تقرأها خِفيةً على أمها والتي كانت كلما وجدت كتابا في غرفتها أحرقته لأنها تعلم أن ذلك يسعدها وكانت هي ترفض سعادتها مطلقا .. هل تعرفون أولئك الأشخاص الذين أينما حلّوا ، حلّوا سلاما على أهلها ! وتركوا فيهم من طيبة المشاعر ما تركوا ! كانت هكذا مياسين أينما حلت أزهرت حُبا وعطرا على قلوبهم ، كانت جميلة جدا للحد الذي يُسعى إليها بكل قوة ولكن للأسف يأتي وأن يمر أشخاصٌ ملوثون بالسواد ، فينفثون غبارهم على أعيننا فلا نرى من بعد ذلك نورا و هذا ما فعله بها ذلك الدنيء الوضيع "ادريس" كان يظهر في كل

مكان كانت تذهب إليه وقد كان ملحا على أن تكون معه ، كان يمثل الحب ببراعة حتى كاد يحصل على جائزة نوبل لإتقان الدور جيدا، وكانت ترفضه دوما إلى أن أخبرته يوما وهي تشيط غضبا " إن كنت تريدني حقا فتفضل من الباب لا تعترض طريقي في الشوارع كل مرة و تسيء بسمعتي أكثر" ، اختفى لمدة قليلة ثم تقدم لخطبتها فوافق أهلها وكانت فرحتها فرحتين ، فقد وقعت هي أيضا في حبه كانت تراه كل شيء فعين المحّب لا ترى إلا محبوبها ، أينما كانت تذهب تأخذه معها في قلبها ، كان يغنيها عن كل الحاضرين، تعلقت روحها به كثيرا للحد الذي أصبح التخلي عنه يومًا مؤلما جدا و يا ليتها ما تعلقت.. ومضى عامٌ على خطبتهما هذه ، كانت قد شكلت حدودا بينه وبينها وحذرته من أن يتعداها ، كانت تلتقي معه بوجود رقية دوما .. لاحظت تغيره التدريجي ، لم يعد يتصل كما قبل حتى اللقاءات بينهم بدأت تقلّ شيئا فشيئا ، فقط حبها هو من ظل على ما هو . اليوم ستتخرج من كلية الآداب ، سعيدةٌ جدا هي بيومها هذا ، تخطت كل أشواك الطريق واليوم ستصل إلى نهايته ، كانت طريقا زاخرة بالمعيقات. . صعبةً جدا ولكنها تخطت وحاربت . ذهبت وحدها لتحْضر الشهادة التي تحصلت عليها ولكنها أحضرت معها خيبة بعمق المحبة وعادت ، كانت قد خرجت من المكتب الذي تُسلم فيه الشهادات ، اتصلت برقية حتى تلقي بها ولكنها لم ترد. اتصلت به أيضا فكان هاتفه مغلقا، كانت تشعر بانقباضٍ شديد في قلبها ، قررت أن تتجول آخر مرة في الجامعة و تودع زميلاتها ثم تذهب لتجهز حفلتها. اتجهت إلى المكان الذي جمعها أول مرة بإدريس و يا ليتها لم تتجه ، رأته يمسكُ بيد رقية والمسافةُ بينهما متقاربة جيدا للحد الذي يجعلك تشمئز والضحك غارق

بينهما ، وقع ما بيدها من أوراق ووقع قلبها قَبْلهم فانكسر ، توقف الزمن بها وظلت فقط صورتهم معا تلعبُ على أعصاب قلبها ، كان الأمر مؤلما جدا للحد الذي تصبح كلّ طيات عقلك تخبرك أنك مجنون ..للحد الذي ترى بعينك أن أحدهم يطحنُ قلبك دون رحمة، مؤلما جداً يشبه كثيرا الوقوع من فوق إلى تحت فتتهشم ولكن لا تموت.. بعمقِ المحبة تأتي الخيبة فلا تحب كثيرا حتى لا تقع في القاعِ مثلما وقعوا من قبلك وبعمق حبها له جاءتها عمقُ الطعنة ، من هنا وعلى حافةِ الحب ترك "إدريس" يد مياسين ودفعتها للأسفل من تكون اِبنةَ عمتها قبل أن تكون صديقتها " رقية" .

بيننا وبين ومن نُحب ، بين من أسميناهم ذاتَ يوم من غبائنا :أصدقاء .. أحباء ..خيطٌ رفيع يصل بين قلوبنا ، ينقطعُ فجأة ويقع طرفٌ ما على الأرضِ وينكسر ، ولولا مِقصّ الخيانة لبقى متصلا ثابتا لا تهزه العثراتُ أبدا و لو اِجتمعت كل المشاعر السيئة لما كانت مقززة مثل شعور الخيانة .

هل تدري معنى أن تؤمن قلبك لدى أحدهم و يخونه؟! ويهديك هذا الأحدهم ألما كبيرا لدرجةِ أنكَ تتمنى أن تتقيأ قلبك ، هل تدري معنى أن تجد نفسك بين ليلة وضحاها ملقًا على الأرض وكل جزءٍ منك منكسرٌ ومهشم في مكان ما؟! الخيانةُ مؤلمةٌ جدا للحد الذي تشعر بها تنهش عظامك بسكين حافٍ ، كلما زادت شدةُ احتكاكه بالعظم كلما زادت حدة الألم ، فلا هو قادرٌ على أن يسرع وينهي الأمر ولا هو قادرٌ على أن يقطع بلطف، بحجم بشاعةِ هذا الأمر تبلغ بشاعةُ الخيانة ، كل منْ أحبّ من قلبه دفع الثمن وكان الثمنُ غاليًا جدًا، البعض دفعوا أرواحهم حتّى . . و لأن المشاعر الحقيقية هي المشاعر

التي لا نقدرُ على أن نصفها ، فقط نحترقُ بصمت و نعيشها ونحن نعلم بكل جوارحنا المؤلمة أن ذلك الشعور لا يجدُ الكلمات المناسبة ليخرجَ عبر أفواهنا، فالكلمات بكماءٌ لا تستطيع وصف العالم الكبير الذي يعيش داخلنا.

صفعتين بحجم المحبة ألقت بها مياسين في حُضن وجهيهما وغادرت المكان تحت تنديه ادريس ورقية لها ،حاولا اللحاق بها لكنها لم تمنح لهم أيّة فرصة فماذا تبقّى لتبقى؟ لا شيء يقال بعد الخيانة .. ما ورائها نقطةُ نهايةٍ كبيرة في دفترٍ اِنتهت أوراقه ، أجملُ ما قدمته لهم مياسين هو كلمةٌ واحدة يصمتُ الجميع خوفا من نطقها "حسبي الله ونعم الوكيل" وأرفقتها بنظرة السخرية التي قابلتها في أعينهم لوعةُ خوفٍ وخسارةٍ حارقة، كانت أعينهم تلتهب خسارة وتشتعلُ ندما على فعلةٍ حمقاء قادتها الشهوة في لحظة ضعف ما . وكطفل باكٍ هرول يبكي نحو أمه فصدمته بصفعة ، صفعت ميساء ابنتها برفضها فسخ الخطوبة تحت عنوان :كرامتي وسمعتي بين النساء ستنهار كجدار بناه شخصٌ قطع يده ، لم ترغب ميساء في محاولة فهم مشاعر ابنتها قط رغم علمها بخيانة ادريس لإبنتها ، وجاءت الصفعة الثانية من والدها بأن كلمته لا ترد وسط الرجال وحاول إقناعها بأنها مجرد خطأ ولن يعيده فهذا هو طيش الشباب ... تبًّا للعائلة التي تغرق أولادها بيدها من أجل فقط قواعد بناها مجتمعٌ جاهل، ماذا لو خسرا كبريائهما مقابل سعادة ابنتهما ، هل كانت السماء ستنهار على الأرض ؟! انهارت ذلك اليوم أرواحهما وإنتقلت الى جوار ربي في حادثٍ جد مؤلم ، ونجا جسدُ مياسين بينما بقيت روحها تحت ركام السيارة ، بين الزجاج المنكسر والدماء الباردة، والآمال المدفونة هناك .

اِستمر ظلامها شهرين لا تعرف عن نفسها شيئا سوى حلمٍ واحد كان يتكرر كل مرة :" في مكانٍ مجهور من البشر كانت الطيور تملكه ، تسقط إحدى العصفورات جريحة من فوق والدماء تغطي ريشها الأبيض ، وقبل أن ترتطم بالأرض يلتقطها طائرٌ ضخم ويهوى بها إلى الأعلى .. ثم يغزو الظلام ما تبقى" .

قد يأتي اِختبار الله لعبده دفعة واحدة ، يختبر فيه صبره وإيمانه وحتى قلبه ثم بعد الشدة يرزقه فرحا ينسيه حدة الآلام التي مضت .. فقدت مياسين الذاكرة بشكلٍ جزئي لم تعد تتذكر فقط الأشهر الأخيرة قبل الحادث ، تعتقدُ أنها لازلت طالبة وتحضر ليوم تخرجها ، لم تتذكر اِدريس ولا حتى رقية فبعمق خيبتها رمت بهم هي أيضا ليس فقط خارج قلبها بل تعدّى الأمر إلى عقلها ، ففي الوقت الذي نعتقد بأنها النهاية تكون هنالك بداية مختلفة جدا عما سبق ، حياة جديدة لمياسين زُينت بالاكتئاب والصدمات . . النسيان والخيبات . .اِستغرق عقلها عاما في اِسترجاع جراحها التي غابت مدةً من الزمن وصارت تطفو على السطح شيئًا فشيئا .. وثم خيبةٌ أخرى تفقد فيها ما تبقى من نفسها عادت لها ذاكرتها فجأة بعدما التقت بإدريس في أحد الشوارع ..تلاقت الأعينُ مع بعض ولكن قلبها لا ، توقف أمامها محاولا الاعتذار عن خيانته ولكن رأسها آلمها بشدة عندما بدأت الكثيرُ من الصور ترقص داخل مخها وأخيراً تذكرت كل المشهد ، نزلت دموعها من هول تلك الذكرياتِ السيئة فحاول أن يتقدم نحوها ليعتذر مرة أخرى ولكنها ألقت عليه كيسا مليئا بالبرتقال وأمسكت يد صديقتها واختلطت بين الناس .

قد يشكل عدم التقبل أحيانا ألما حادا يغير فيه الشخص إلى جدارٍ صلب لا يشعر بشيء فمن الجيد أنها وجدت رفيقة تعينها على خيباتها "ياسمين" بعدما ابتعد عنها أخوها سامي وتركها تتخبط وحدها بين أروقة الحياة.

أصبحت باردةً جدا ، ليست لها أدنى ردة فعل ، جسدٌ بلا روح فقط يتنفس وباتت مرفقة بانهيارات عصبية و كسر كل الأشياء التي تجدها في طريقها بعد لقائها بإدريس واستعادتها لذاكرتها دفعةً واحدة و ترسَّخ مشهد الخيانة في عقلها ، لا ترى شيئا سوى تلك اللحظات المؤلمة التي كانت سببا في فقدانها لوالديها .. وباتت فتاةٌ من صراخ ، كسر ، بكاء ، حزن..

في المصحة يوجد أشخاصٌ أبرياءُ من كل شيء عدا من ذنبٍ واحد أنهم : أحبوا من الأعماق .. وثقوا ثقة عمياء ، منحوا قلوبهم ...كانت رائحةُ المهدئات تملأ المكان حزنًا وقسوة ، ستهدأ روحي وستسكنُ أعصابي ، فهل يهدأ قلبي بهذا الدواء؟! لو دخلتم قلوبنا بعد خرابها لوضعتهم أيديكم على رؤوسكم ولفتحتهم أفواهكم دهشةً و لسقطت قلوبكم موتا من هول ما رأيتم ، فرفقًا بالقلوب فخرابها ليس بهين.

بقرب أطفالٍ أبرياء بدأت روحها تتعافى قليلا ، أعادت فرحتهم وبهجتهم القليل من قلبها معهم بدأت تبتسم .. معهم بدأت تشعر بأنها لازلت حية ، الحمد والشكر لياسمين ، وجدت روضة للأطفال عن طريق معارفها ..

عندما ظنت أنها ستتعافى أخيرا حتى ولو لم تعد كما كانت فقد تغيرت كثيرا في عام آخر ، تعلمت أشياءَ جديدة تفيدها وأضافت لوقتها أشغالا تنسيها وما برحت إلا و وقفت أمامها سيئاتُ سامي الذي خدعها في لحظة اِنكسارٍ غاب

وعيها فيها ، أرغمها على الزواج من شاب لا تعرفُ عنه شيئا سوى أنها وقّعت على صكٍ باسمها سُحب من عنده ، كيف ذلك!؟ " بعدما تعرف سامي على سيمان أقنعه بجديته في أنه يريد أن يرسم البهجة على شخصٍ عزيز عليه ، ويريد مالا حتى يقام هذا المشروع ، ثم يكون الربح مشتركا بينهم ، فقط يحتاج إلى اِنطلاقة وبقيةُ الأمور سهلة ، ولأن سيمان ظن أنه لا يمكن لأي شخص أن يلعب بمصير أخته فلا أحد مستعدٌ لأن يضر روحا تحمل دمه وكل شيء ، قبل الفكرة وتم سحبُ القرض من الشركة التي بدأ العمل حديثا فيها و فر سامي إلى وجهة مجهولة وظل "سيمان صبرواي" يبحث عنه طويلا إلى أن ألقى رجاله القبض عليه في المنزل وهناك تم التفاوض و تم الإعلان عن مياسين ضحيةً تدفع الثمن بلا ذنب .وكان سبب عدم اِيصال القصة إلى طاولة الشرطة هو خوف سيمان من معرفة عائلته بأمر المبلغ الذي نصبه سامي وبالتالي يحرم من كل حقوقه في إدارة شركة والده وهذا ما لم يتقبله .

كان الزفافُ خاليًا من الحب . . خاليًا من الفرح . . خاليًا من كل شيء سوى شيء واحد يتكرر في أفواه الجيران : مياسين كسرت ثقة أخيها من أجل شاب أعمتها أمواله ، شكرا لعمتها التي لم تسكت أفواه الحاضرين ولم تبارك حتى لابنة أخيها المرحوم ، كان حضورها اِجباريا من زوجها الذي كان يعتبرها ابنته الثانية.

في حين أن كل فتاة تحلم بيومها ذاك كانت هي تلعنه ، تمنت لو لبست الأبيض ورآها والدها وأوصاه عليها . . تمنت لو كان شخصاً تحبه من أعماقها لو أن رقية كانت معها ، لو أن تلك الخيانة لم تحدث أبداً، تمنت وتمنت

ولكن الأمنيات مجردُ أصواتٍ نُسكت بها صراخَ قلوبنا و بقية القصة تعرفونها ، فدون أن نعود مجددا للبداية أخبركم الآن أن الذين يتسببون في الألم وخرابِ القلب ليسوا هم المسؤولون عن التعافي ، يتعافى المرء بقرب ربه .. فقط نحتاج لمن يرشدنا وبقية الطريق علينا ، إن أحببت يوما أو جمعتك علاقة طيبة بين أناس آخرين: لا تخذلهم أبدا ، لا تلقي بهم أسفل الهاوية فلعلك تكون أنت الأمل الوحيد الذي يتمسكون به و لأني أعتقد أن الآلام النفسية من أكبر الآلام التي تصيبُ المرء فيبقى التشوه محفورا في الذاكرة حتى وإن شفيت الجروح تبقى تلك الآثار شاهدة على الجريمة التي ارتكبت في حقكِ سابقا و ستكونُ رحلة التعافي قاسية جدا ، لا تعبث ! ، لا تخذل ! فنحن في دائرة ، وذات يوم ستجدُ ما رميتَ به غيرك.

آياتٌ من القرآن تُتلى ، نساءٌ يرتوون نميمةً في عزاءٍ كان من المفروض أن يكون حزينًا ، أحاديثُ كثيرة عن فلان وفلانة ، عن كل السيئات التي سترها الله فهتك بها عباده .. في مجتمعي لا يُعطى للميت حقه إلا من رحم ربي،أصبحتْ الجنازات نقطة التقاء وترويح عن النفس ومكانٌ لتجمع كَمّا هائلا من السيئات.

دخلت مياسين إلى بيت عمتها التي لم تطأ قدمها منذ حادثةِ الخيانة تلك ولولا أن لها خاطر لزوج عمتها لما أقيمت حتى الجنازة هناك ، الجميع يهرول نحوها بداعي الشفقة الأمر الذي تكرهُ أن تراه في أعينهم ، سمعت عبارات تعظيم الأجر ومواساتهم المزيفة ثم جلست في زاوية ما ، تقرأ القرآن على روحِ أخيها وتمسح عبراتٍ اِنسابت سريعا على وجنتيها .. وقعت عينها في عين رقية التي

كانت متجهةً نحوها ونظرة الندم مازالت تكتسيها ، تشجعت رقية عندما رأتها تنظر إليها فتقدمت أكثر :

رقية : عظم الله أجرك وغفر له ربي وأسكنه فسيح الجنان .

مياسين : شكر الله سعيكم وصمتت تحوقل وتذكر الله.

رقية : عندما رأيتك تنظرين لي عرفت أنك سامحتني وهذا ...

قاطعتها مياسين ببرود :سامحتكِ !! وضعتُ عيني في عينيك لكني لم أركِ .

ارتبكت رقية وقالت: أنا آسفة جدا على ذلك اليوم ..

مياسين : يا بنت "أنا آسفة" تقال لمن وطأ على قدمك دون قصد وليس لمن تكسرُ قلبه عنوة مع سابق الإصرار و التنفيذ.

أرادت رقية أن تواصل الحديث ولكن سيمان أنقذها باتصاله نهضت وتبعتها رقية :

مياسين : وعليكم السلام ..

سيمان : هل أنتِ بخير ؟ بقي قلبي معك حقا .

مياسين : بخير ، لا تقلق..

سيمان : هلا أتيتِ أمام الباب

مياسين : حسنا آتية.

خرجت مياسين أمام الباب تحت أنظار النساء وكلماتٌ من هنا وهناك تلقى على قلبها ، هي تعلم ومدركة أنها أصبحت يتيمة لِم يريدون تذكيرها وجدته

ينتظرها ، ارتمت إلى حضنه لأول مرة دون أن تدري وهي تبكي وتشتكي له أنها أصبحت يتيمة وأكثر من اليتم، بلا أحد .

مسح دمعها وشد على يدها وأخبرها أنه معها لا يجب أن تقلق ، بقيت عيناه على وجهها الشاحب ثم قال بنبرة حزينة : هل أكلتِ شيئاً؟ أخاف أن يغمى عليك من جديد ..

ردت عليها : لا تقلق ، لن يحدث شيء ..

قال وهو غير مقتنع بإجابتها: لا تعاندي الآن ، واللهِ قلبي حائرٌ عليك..

لم ترد عليه بل اكتفت بالصمت والنظر بعيدا عنه ، كاد يضع يده على كتفها ولكنه لاحظ فتاةً تحدق بهم من وراء الباب فسألها: من تلك التي تنظر إلينا !

وقعت عيْنا مياسين على رقية التي كانت تنظر بنظرات ندمٍ مَا نحوهم وقالت بزلة لسان : هذه التي أسميتها ذات يوم أختي وخانتني مع من أحببت .

بنظرة متفحصة لها قال : من أحببتِ؟! هل تقصدين أنك ..

قطعته مبررة كأنها قرأت ما كان يريد أن يقول: لا لا ليس كما تقصد ، كان خطيبي ..

رد بتفهم : حسنا لا علينا ولكن رجاءا أريد أن أسمع منك كل شيء عندما تنتهي هذه الجنازة ، لقد صرنا أصدقاء لا تنسي، وأرفقها بابتسامة جميلة تحمل الكثير من الحب لكنها لم تدرِ عنها ثم واصل حديثه: ستأتي أمي بعد قليل رفقة أختي وزوجات أخوي ، سأتصل بك عندما يأتون .

كادت تعود إلى الداخل لولا أنه تذكر شيئا :

اه مياسين نسيت أن أخبرك !

مياسين : نعم .. نسيتَ أن تخبرني ماذا !

سيمان :اِتصل بي معتز يبحث عن رقم هاتفك لفتاتين التقيتِ بهما عندما قفزتِ من الشرفة.

غطَّت وجهها بخجل وقالت : هل ستذكرني كل مرة بأني قفزتُ من هناك ؟!

ضحك على خجلها وقال لها : حسنا عودي إلى الداخل، ليس من الجيد أن نضحك الآن . عادت وفي قلبها الكثيرُ من الأشياءِ التي كانت تتجاهلها فوجدت "رقية" تنتظرها أمام الباب تخطتها قائلة : لا تلاحقيني هنا وهناك مضت خمسُ سنوات عشتها جحيما بسببكما ورغم معرفتكِ بما مررت به إلا أنكِ لم تبيني لي ندمك ذاك مطلقا ..حتى عندما كنتُ أترامي في المصحات لذلك لا تريني وجهك ، كل شيء ينسى إلا الخيانة لا أنساها ولا أسامحُ عليها ، حصلتِ على جوابك إذا بالتوفيق في رحلةِ الجحيم التي سيغوص فيها ضميرك ..هذا إن كان لك ضمير ، وجلست مكانها ..

جاءت والدةُ سيمان رفقة اِبنتها وكنتيها وكانت قد تغيرت الكثير من الأشياء ، قد كانت أسماء على عتبة الطلاق بسبب مشكلة الإنجاب ... الآن هي حامل . وكانت فدوى تعيش على عرش الحب الذي زينته أطماعها كثيرا ، الآن هي على عتبة الطلاق بعدما كثرت المشاكل بينها وبين بهاء الدين .

القليل من الوقت كفيل بتغير الكثير حقا، أما نرجس فكانت قد فقدت نورها وبهجتها لسببٍ ما وحل الاصفرار مكانهما في وجهها إذ أنها جاءت مرغمة من أجل والدتها فقط .

رحبت بهم مياسين وجلست معهم .. تقدمت سيدة الدار "عمة مياسين" نحوهم تدّعي وتنوح أنها أهل مياسين أمامهم ولكن ما خفي في القلوب أعظم و بدموعٍ تماسيحٍ لا أحد يدري من أين أتت صارت تندبُ حظ مياسين في مجلس العزاء ، وهذا ما أزعج أم سيمان كثيرا ، حاولت أن تُقِيمها وهي تخبرها بأنه قضاء وقدر وأخيرا نجحت في ذلك فتشجعت وأضافت وهي تنظر نحو كنتها الصغيرة بحزن : نحن أهلها أيضا ولن نتركها أبدا لا تقلقي عليها ليست وحدها مطلقا ، الله ونحن وزوجها دائما معها.

تفاجأت مياسين من كلام حماتها وظلت تفكر فيه هل حقا ..؟! كما يقولون ! ولكن سنتطلق بعد فترة فقط أجّلنا الأمر قليلا .. والكثير من الأفكار المشابهة ولكن اِتصالا في الهاتف أعادها إلى الواقع كان رقما بلا اسم ردت فباغتها صوتٌ أنثوي، كانت أمينة وصورية هما من اِتصلتا للتعزية ، وطلبتا منها اللقاء بعد اِنتهاء أيام العزاء .

أما عن معتز منذ يوم شجاره مع تلك الفتاة وهو يفكر فيها كثيرا ، التقى بها صدفة في إحدى الشوارع مرة أخرى وتجاهلته ، كانت تضحك رفقة صديقتها تارة وتارة تغضب ، لقد كانت جميلة جدا ، عيناها تصرخ بندقاً قصيرةٌ للحد الذي تجعلك تنحني لها حبا واحتراما ، كتلةٌ من المزاح تمشي على الأرض كانت تسرعُ كنملة تبحثُ عن قمحها ، عصبيةٌ كثيرا وما أجملها أنداك..

حاول إلقاء السلام ولكنهما لم تردا عليه، فقال لها مقاطعا طريقهما :

هل ما زلتِ غاضبةً مني يا بنت ؟! توقفت مستغربة وقالت: مجنون أنت؟! لمَ أغضب منك ربي يهديك؟! ثم تخطته وواصلت طريقها أما هو فغاص تفكيره

فيها ووعد نفسهُ بأن تكون له في الحلال ، فصار يذهب كل ما سنحت له الفرصة إلى محل Mina cake أينما اِلتقوا أولا وكانت لا تُعبِّره مطلقا وأحيانا لا يجدها هناك وعندما يسأل صديقتها أمينة عنها لا تجيبه ، ولأنه لم يجد فرصة للحديث اِتخذ حجة موت أخا مياسين فطلبتا منه رقمها ، وسُعد هو بأول إنجاز له.

لم تشأ مياسين أن تبقى في بيت عمتها وذهبت رفقة سيمان وعائلته إلى القصر حتى تكون المسافة قريبة، و لأول مرة ستتشاركُ معه غرفة واحدة لأنه لا أحد من عائلته يعرف الأمور بينهما.

كانت منهكةً .. متعبةً و حزينةً جدا على فقدانها لأخيها فزاد التوتر من نصيبه أيضا وقضى عليها

جهز لنفسه فراشا على الأرض و احتراما ترك السرير لها وقبل أن يضع رأسه على الوسادة نظر إليها يتفحصها فوجدها متكورةً على ركبتيها فقال :نامي قليلا وتخافي ، ألستِ متعبة ؟

ردت عليه قائلها : لكن التعب داخلي وليس في جسدي ..

أطرقت رأسها تخفيه عنه فنهض وجلس أسفل السرير محاولا أن يخفف عنها : إنما الموتُ قضاءٌ وقدرٌ وكلنا ذات يومٍ سنلبسُ كفنا أبيض ، وما هذه الدنيا إلى دارٌ اسْتُضِفْنَا فيها لعدة أعوام ، فلا تحزني فقط تذكريه بالدعاء والصدقات ، والله غفورٌ رحيم ..

كادت تقول : إن شاء الله سأت.. ولكنّ طرقاتٍ خفيفة على الباب قاطعتها ، فارتبكا وقاما سريعا يخفيان ما وضع سيمان على الأرض لقد كانت نرجسًا بجسمها ، و نرجسًا أخرى بوجه وردةٍ ذبل فجأة .

نرجس: أريدُ أن أفضفض معك قليلا إن كنت تريد .

سيمان : تفضلي يا عزيزتي .

شعرت مياسين بأن عليها أن تخرج فاستأذنت ونزلت تحت.

وضعت نرجس رأسها على كتف أخيها وبكت فقط ولم تتحدث ، سألها خائفا عليها ولكنها أخبرته أنها فقط تريد أن تبكي و لا شيء بها ، سوى الرغبة في البكاء ، ضحك وظن أنها عادت إلى عاداتها الطفولية بعد صمتٍ طويل قالت :

سيمان ماذا لو أخطأتُ يوماً ما هل ستسامحني!

رد مستغربا: تخطئينَ في ماذا ..؟ لم أفهم ..

عندما رأت جدية وجهه خافت كثيرا وغيرت مجرى الحديث إلى أيام طفولتهم،

أما مياسين فالتقت بفدوى وهي تتحدث على الهاتف ربما مع أمها وعيونها تروي قصةً أخرى عن الندم ، أغلقت سريعا وندّهت على مياسين ، التفت إليها حائرة .. هل تراها تريدُ أن تسبب مشكلةً أخرى ولكن فدوى نهضت وأمسكت بيدِ مياسين ثم قالت: سامحيني على حماقتي في المرةِ الماضية ، بل وحتى على كلّ كلمةٍ جرحتكِ بها ، كنتُ غبية ولازلت ..سامحيني ..

ربتت على يدها وقالت بحنو: يشهدُ الله أنني عفوتُ عنكِ ، بل أنت من يجب عليها أن تسامحني على تطفلي ذاك..

ردت فدوى بإندفاع : لا ..لا تقلقي سامحتك أيضا..

قاطعهما صوت توأميها يتشاجران فهرعت نحوهما تاركة مياسين مكانها مبتسمةً على هرولةِ فدوى ، ثم نزلتِ الدرج فوجدتِ السيدة رتيبة تجلس رفقة زوجها في الصالون فندهت عليها بأن تنضم إليهما ولكنها خجلت أن تقاطعهما فاعتذرت وراحت تبحثُ لنفسها عن مكانٍ تجلس فيه ريثما تنتهي نرجس من محادثتها .. ولم تجد إلا الحديقة فجلست بين أشجارها واِتخذت جذع أحد الأشجار سندا لها، رفعت رأسها للسماءِ الصافية التي تلألأت بأضوائها وطارت بين النجوم.

مضت ساعة ونصف من الزمن واِنتهت محادثته مع أخته التي سافرت معه إلى ذكرياتهم حتى لم يشعروا بمرور الوقت ونسوا أن هناك كائنا متعبا جدا يحتاج إلى النوم بشدة "مياسين" تذكرها فجأة فنهض سريعا مخبرا أخته أن السهرة اِنتهت ، علقت عليه بنكاتها رغم انطفائها قائلة: يا لك من أحمق ، تفرطُ في أختك التي عشتَ معها سبعاً وعشرين سنة من أجلِ فتاةٍ تعرفت عليها البارحة ؟

قال ممازحا إياها : نعم فرطتُ.. هيا إلى غرفتكِ حالا ، أخرتني عن زوجتي!

ضحكتْ له ثم اِتجهت إلى غرفتها وهي تحاولُ حبس دموعها بعدما رأت حبّ أخيها لزوجته واِهتمامه بها وفي قلبها نيرانٌ من ندم على علاقتها المحرمة التي أخذت بها بعيدا نحو جهنمِ الدنيا ..وربما الآخرةِ أيضًا.

بحث عنها في كل أرجاء المنزل فلم يجدها ، أخبرته فدوى أنها ربما تكون قد ذهبت عند أسماء .. عاد إلى غرفته وخرج إلى الشرفة فرآها تسند جذع

شجرةٍ في الحديقة ، جالسةً كملاكٍ نزل من السماء في هيئة بشر ركض سريعا إلى هناك كانت قد نامت نوعا ما ، أيقضها خفيفا ففجعت وكادت تهرب لولا أنه أمسك بها وطمأنها .

سيمان : هيا فلتنامي على السرير .. أعتذرُ منك أطلنا الحديث قليلا فنرجسُ ذهبت بنا بعيدا بأحاديثها ، لا أدري شعرتُ بأن اِنطفاءا غريبا حلّ بها..

مياسين بتفهم: لا عليك ، أريدُ البقاء هنا إن كنت لا تمانع ولكن ما بها نرجس؟

سيمان : لا أدري واللهِ في داخلي شعورٌ غريبٌ يخبرني بأنها ليست بخير ؟!

ردت مياسين وكأنها تذكرت شيئا: هل سألتها ؟ أو حاولت الاستفسار!

رد مزفرا بقلق : سألت ولم تجب .. أوف !

ردت مياسين تزيل قلقه عنه: لا تقلق ربما اكتئابٌ بسيط ويمر ، تعال اجلس هنا لا تبقْ واقفا .

سيمان مبتسما : هل قلتِ لي الآن اجلس بجانبي ؟ أم أنني توهمت!

ردت مياسين خجلة : لا لم أقل ، تهيأ لك فقط..

جلس سيمان و اِتكأ إلى جذع الشجرة مبتسما على خجلها وكتفه يلامس كتفها فشعر برعشتها من ذلك التلامس فابتسم أكثر للأمر وقال:

مضت أربعةُ أشهر عشنا فيها تحت سقفٍ واحد فلمَ ما زلتِ تخجلين مني؟!

صمتت مياسين وأدركت أن أسئلته ستفصحُ عما في قلبها قريبا وبدأت وجنتيها تحمران تدريجيا .

عندما لم ترد عليه تشجع بصمتها ليتحدث فقال : أتدرين كُنتُ أكرهكِ كثيرا و أكره ظلكِ في البيت ، تمنيتُ ذات يوم أن لا نلتقي أبدا ، برودك كان يقتلني ..

قاطعته ونبرةُ الحزن قد بدت في صوتها : لا عليك سينتهي كل هذا ، ومن الأفضل أن ننهيه ، لن أكون حملا عليك لا تقلق..

أمسك يدها ودار بجسده نحوها وثبت عينيه في عينيها وقال : ولكنني الآن أريدك ، دعيني أفصح عما في قلبي ، ألم تدرسي الأدب في الجامعة ؟ لقد قلت لك "كنتُ" وليس "ما زلتُ"

مياسين : لا تفصح أرجوك ! ساحبة يدها منه وهي تعلم في قرارة نفسها أنه أصبح يُحبها ..كانت خائفةً من الحب ، خائفة من أن تقع في القاعِ مرة أخرى، قرأ عينيها وأدرك أن ماضيها هو السبب : لا تخافي مني ، أخبريني فقط وأعدكِ بأن لا أتركك مهما عرفت.

نظرت له بخوف وقالت : خائفة أن أغوص مرةً أخرى في القاع.

سيمان : لن تغوصي.. أقسمتُ لك باسم الله ...

ردت خائفةً مترددة : لا دعها تبقى داخلي..

قال بحزم : قلتُ لك فضفضي .. ولا تخافي لقد أقسمت بالله ، والله غالٍ لا يُلعبُ باسمه أبداَ..

بتنهيدة أخرجتها من الأعماق وهي تحفظ ملامح النجوم وتحفر يدها من توترها قصت عليه ما عاشته على مدار الخمس سنوات وكيف تعرضت للخيانة وكيف كانت أيامها في المستشفى والمصحة ، حكت كل شيء لأن كل تلك الحكايات كانت زائداً على قلبها وكان هو دوائها، بكى معها عندما بكت ، شعر أنه ليس من العدل ما عاشت ، صعب على رجل كل هذه الهموم فما بالك بأنثى و أدرك أنه لو عرفها قبلا لعرف انسانا آخر ، فهي الآن مزيجٌ من الخيباتِ التي عاشت والتجارب التي غاصت فيها .. ولكن مع كل ذلك "جميلةٌ جداً هي روحها"

بكى ومسحت هي دمعه وقالت له : لا تبكي ما عدتُ أبكي أنا .

حضنها بشدة واعترف قلبه لها بأنه يحبها ، سمعت دقات قلبه وهي تنبض وتريد أن تقفز من قفصه الصدري .

انتهى هذا العناق الذي يحملُ حبا كبيرا لم يعرفاه بعد ولم يتوج على لسانهما بعد ، كسرت الحزن وقالت : أخبرتكَ فقط ليس لتشفق علي أو شيء من هذا القبيل، فقط احتجتُ لأن أتحدث ولم أخبركَ حتى لا تتركني.

سيمان :لم أشفق عليك ، بل تألمت لما عشت ويؤلمني كثيرا أنني لم أكن معك في ذلك ، ولن أتركك أصلا لأني كنتُ أعلم بكل شيء فقط أردت أن أسمع منك .

مياسين بدهشة: كيف ذلك من أخبرك بهذا لا أحد يعلم بالقصة كاملةً سواي ؟!

سيمان بحذر خائفا من ردة فعلها : قرأتُ مذكراتك التي بعث بها المرحوم سامي مع أزهارك إلى البيت في اليوم الذي قفزت من الشرفة عندما أخدتك إلى عند ياسمين ، اِستغربت ما في الصناديق فأخفيتها في غرفتي وفي كل ليلة كنت أغوصُ فيها .

ابتسمت وخجلت مجددا لفعلها واِمتزجت مشاعرها بخليط غير مفهوم وراحت تفكر في ما قال وفي تصرفه هذا .

أضاف : لن أتركَكِ ليس من أجل الدين دُفع الدين منذ مدة ، بل لأنني أريدكِ وقلبي أيضا..

مياسين وقد احمرت أكثر وهربت كلماتها و اقتطعت الصدمة حبالها الصوتية : كيف ذلك ؟

أخبرها بالقصة كاملة تحت دهشتها و طبولِ دقاتِ قلبها وتزايدَ حبها أيضا وفي الأخير قال لها : هل تقبلين أن تكوني زوجتي على سنة الله ورسوله من جديد؟! هل تقبلين أن تجلسي ملكة على عرشي قلبي وأتوجك بحبي ؟!

غطت وجهها بيديها وضحكت هي وفهم هو أنها قبلت...وهنا بالذات كانت بدايةً أخرى..

من الجميل أن نجد نهاية نستحقها بعد ما عانيناهُ طوال طريقٍ كثرت أوراق الكرهِ والخيانة فيها فليست كلّ النهاياتِ حزينة وليست كلها سعيدة أيضا ونحنُ لم نصل بعد للنهاية..

طريقكُ في الحلال بإمكانه أن ينقذك من القاعِ الذي وقعتَ فيه ،أن تجد من يتقبلك كما أنت ،بحُلوك ومُرك ، بحُسنك وبعيوبك أيضا، هنا فقط أنتَ أيضًا تمسك به ، فذاك حبٌ نقيٌّ وقعت فيه الروحُ في الروحِ قبل القلوب فحصنه باسم الذي وضعه في قلبك أن لا يضره شيء و اِجعله كل القصص...بل القصة التي لا تريد أن تكون لها نهاية كهذه مثلا...

الفصلُ الخامس:

وجدتُ قلبي . . .

في رحلةِ بحثٍ عن قلبي الذي سقط في القاع وجدتُ الكثيرَ من الأشياء الرهيبة التي لا تُحكى ، تعبت .. حزنت .. تألمت .. وجلستُ هناك أبحث عنه بين كومات القلوب و أخيرا وجدته برفقةِ طيرٍ ضخم أنقذه قبل أن يسقط ، فقط توهمتُ أني وقعت . . لم أقع بعد، أُنْقِذْتُ في منتصف وقوعي ، أمسك بي حبه وإنتشلني من ضياعي والأجمل من ذلك عادت إليَّ مشاعري سالمةً غانمةً بصحةٍ وعافية أكثر مما كانت ولأنه أنقذني سيبقى قلبي له ومعه دومًا.. خانني الجميع ولكنه لن يخونني متأكدة من ذلك أكثر من اِسمي .. أنا لا أقصد بالحب ما تفهمون أنتم : حبٌ في الطرقات ، حبٌ في الشرفات وحب مزركشٌ بالحرام، ما أقصده حُبًا حلالا طيبًا يبدأ تحت سقفٍ واحد ولا ينتهي ويستمر في الجنةِ أيضا .. حبًا طاهرا ، عفيفًا تباركُ له ملائكةُ الرحمن ، حبًا نقيا جدا . . نبدأ يومنا فيه بفنجانٍ من إيمان ونحن نصلي الفجر معا ، وننهيه بكأسٍ من تقوى ونحن نقوم الليل .. معا أيضا . .الحّب الذي تحكمُ عليكَ به محكمةُ المودةِ و الرحمةِ رحلةً إيمانية معا .. ولدتُ أنا بجناحٍ واحد لم أستطع أن أطِر وبقيتُ ناقصةً حتى التقيتك وصرنا بجناحين فَطِرنا معا في مجرةِ الحب والعشق .

يتساءلون الآن هل حقا أنا من كتبتُ هذه الأسطر عن الحب ، نعم أنا من كتبت ولكن.. عن الحبّ الطاهرِ الحلالِ تحدثتُ . وما حُبكِ أنتِ لذلك الذي تعتقدين أنه سيكونُ زوجك ليس بحبٍ ، بل مجرد إعجابٍ زينته خطوات الشيطان، وما حبُّك أنتَ الذي تعتقدُ أنه مجرد قضاءٍ للوقت والتسلية سوى

ذنوبٍ كثيرةٍ عظيمةٍ عند الله ولا تعتقد أيضا أنك رجل .. لا فقد سقط هذا الاسمُ عنكَ فابحث عن اسمٍ آخر يناسبك ..ربما "زانٍ" أكرمكم الله لذلك يا أنتم وأنتما : الحبُ شيءٌ آخر يبدأ من طرقِ باب البيت ويستمرُ في الجنة .

كانت هذه الأسطر الأخيرة التي ضمتها مياسين إلى الدفتر الأسود و هنا اِنتهت كل صفحاته التي ملأتها الكثيرُ من القصص والحكايات الحزينةِ و السعيدةِ معاً.

اليوم تحديدا ستلتقي مياسين بصورية لتخبرها أن معتز يريد أن يتقدم لها ، فقد ألّح على سيمان كثيرا حتى يبعثَ بمياسين لتخبرها بطلبه هذا حتى يتقدم إلى بيتهم بصفةٍ رسمية إذ أصبح مجنونًا بصورية تلك لا يعرف شيئا سواها ولا يتحدثُ إلا عنها ، ستمرُّ بالمدرسة قبلا وتمضي على آخر ورقة لتأخذ عطلتها الأبدية وتبدأ قصةً أخرى.

التقت بصورية ومعها أمينة في محلها واليوم كانت معهما فتاة أخرى ، كانت صديقتهم الأخرى "سلمى" ولكن لم تسنح لهم فرصةُ التعارف جيدا بسبب ضيق الوقت .. ولكنها بدت لها أنها نظراتها غريبةٌ جدا نحوها ..

أما العصفورة صورية فطارت فرحًا بالخبر الذي تلقته لأنها هي أيضا وقعت بحبه ولكنها تعففت وأعرضت عن الحب الحرام ولم تبح لأحد عما اختلج مشاعرها ، اِتصلت مياسين تزفُّ هذا النبأ الحلو لسيمان لكنّ فتاةً ما ردت على الهاتف ، في البداية خافت أن تكون أخرى في حياته ولكنها عرفت بأنها إحدى الممرضات .. سيمان في المستشفى تعرض لحادث ما، خرجت مسرعة لا ترى أحدا ولا تسمعُ صوتا فقط الخوفُ يعتريها من أن تخسره هو أيضا .

فعندما تخسرُ مرةً ما شيئا كنتَ تحسبه غاليا على قلبك، يصعبُ عليك كثيرا أن تفقد مرة أخرى ، فقط لأنك لا تحبُ شعور الفقدان الممتزج بالألم و دقاتُ القلب التي تصبح ثقيلةً عليك حتى ، تخافُ من أن تعيش ذلك الشعور الذي لا يطاق مرة أخرى . . لا تخف كل من يخافون يخسرون أحيانا ولا تتعلق بشدة أيضا حتى لا يقابلك خذلانٌ جميل .. عفوا أقصد أليم. .

فقط خدشٌ في الجبين وإرتضاضٌ في يده وباقي جسمه على ما يرام ،سألته مئة مرة عما يؤلمه أو هل يشعرُ بآلام أخرى واتخذ من ذلك فرصة لدلعه فقد أعجبه خوفها عليه رغم أن عيناه روت حزنا فور ما رآها ، بعد ردهة أخبرها كطفلٍ صغير يشكو ألم قلبه : يؤلمني هنا كثيرا يا مياسين وأشار نحو قلبه .. ثم واصل بعد تنهيدةٍ خرجت من أعماقِ الأعماق غدرت قلبي نرجس .. غدرته ، وبكى على كتفها ، مسحت دمعه وربتت على قلبه وقالت :

بعد بسم الله الرحمن الرحيم : قال تعالى في إحدى سوره" واصْبر لِحُكْمِ ربِّكَ إنكَ بأعيننا" .. لا تحزن يا سيمان فقط صبرا جميلا ، سيفرجها الله ولا تتسرع في قرارك نحوها فقط ضعوها بينكم وحاولوا فهمها وما سببُ لجوئها لعلاقة محرمة فهي ليست وحدها مخطئة ، كلنا مخطئون معها ، ربما عدم سؤالك عنها ، وعدم اهتمامكم بها ، غياب والديك عن المنزل أحيانا ، أصدقائها التي اختارت .. كلنا صنعنا شيطانا بداخلها دفعها إلى ما دفعها ، فلا تخسر أختك مجددا .. الأمرُ صعبٌ جدا ، ولا يحل إلا بالمناقشة والمفاهمة والله لا ينفع غضبكم عليها في شيء سوى زيادة نفورها منكم التفكير في الانتحار حتى تتخلص من شعور الندم الذي يحيط بها ..

كان صامتا يفكر في أقوالها ، ثم قبلها من رأسها قبلةً تعني الكثير والكثير وذهب ليتم إجراءاتِ خروجه وتركها تنتظره على أحد المقاعد هناك و بينما هي تنتظرُ عودته التقت عيناها بعيني "اِدريس" فجأةً الذي تفاجأ عندما رآها و اِتجه نحوها مسرعا أمّا هي فلم تتحرك قط فقط نظرت إلى وجهه الذي رُسِمت عليه طعنةُ سكين شوهت جهته اليمنى، ألقى السلام منتظرا ردة فعلها، لم تتحدث معه وظلت تبحث عن سيمان بعينيها فأضاف : أعتذر جدا عما فعلت ،أدركت مؤخرا أنني أذيتكِ كثيرا ..!

قالت ببرد متحاشية النظر إليه : من تكون أنت.. لم أعرفك ؟!

قال مندهشا : هل نسيتني ، أنسيتِ حبنا يا مياسين؟!

قالت مبتسمة بسخرية : في الحقيقة اكتشفتُ أنني لم أحبك أبدا لقد نسيتكَ منذ مدة و هذا لا يعني أنني نسيت ما عشته معك بل ما زلتُ أتذكر كل شيء ولكنني لا أشعر بأي شيء هكذا مسحتك حتى أنني تألمتُ كثيرا عندما ولدت هذه المرأة الأقلُّ سذاجةٍ سابقا ؛امرأةٌ لم يعد قلبها ينبض باسمك ولم يعد لشخصك مكان في حياتها .

على وقع هذا الكلام اِلتحق سيمان الذي أدرك أنه إدريس ، أمسك بيد مياسين تحت أنظاره المستغربة كيف لها أن تمسك رجلا آخر : هل أصبح من السهل أن تمسكي بيد أي رجل ؟!

صفعه سيمان قائلا : لا تتحدث عن زوجة الناس مرة أخرى وكاد يضربه لولا أنها أوقفته وقالت : توقف يا سيمان ، لا يستحقُ أن تلطخ يدك فيه فهو ليس برجل ولن يكون أيضاً، لا تضرب أشباهه يا سيمان و شكرا جزيلا يا

إدريس لأنني بفضلكَ عرفتُ من هو أفضل منك ألف مرة وأمسكت يد زوجها وجرته نحو الخارج تحت صدمة إدريس والندم الذي إكتسى عينيه وأدرك أن هو من خسر وخسرَ قلبها أيضاً وليست هي .

إنّ أفضل من قد يفعله المرء هو أن يتجاوزَ و يتجاوزَ ويتركَ كل خيباته تعيش في الماضي . .أنْ لا تلتفت هنا تكمن قوتك وهنا يكمن اِنتقامكَ منهم ، اِجعلهم لا شيء فأنتَ تستحقُ من هم أفضل منهم ، اِنهض من الأرضِ التي أوقعوك بها وأنفضهم عنك وعندما تجدهم مرة أخرى اِرمهم أنت على الأرض .

خيبت نرجس ظن والديها فيها وجعلت في منزلهم غيمةً سوداءٌ تمطرُ حزنا على كل من يحبها ، وكسرت عُنقَ إخوتها بحملها من رجلٍ في الحرام ، لو أنها صبرت واحتسبت لرزقها الله بزوجٍ طاهرٍ تقيّ يحبها ولكنها اِستعجلت ، أقيم عرسٌ مستعجل من هذا الذي حطمها في الحرام ،ولولا اِبنها الذي تحمله في أحشائها لما تزوجها ، ولولا أن لها إخوة رجالا رغم تهاونهم كثيرا في توجيه أختهم سابقا و عدم اِهتمامهم وبعدهم عنها لما تزوجه لا هي وحدها ولا هي بطفلها .

كثيراتٌ هنّ نرجس في العالم . .يُحبنن حرامًا ويغصْنَ بعمقِ العلاقةِ إلى المجهول . . يعتقدنَ أن الحياةَ تكمنُ في أن تتمسك بمن تحب حتى يأتي ويخطِبها ولا يفكرن قط أن من يذوقُ شيئا في الحرام يصعب عليه الحلال ، لا تكوني مثل نرجس يا صديقتي كوني عفيفةً طاهرةً ولا تقبلي بحبٍ يأتيك من غير بابِ منزلكِ وتيقني أن الله لا ينسى أحد فما كُتبَ على جبينك لن يمحوهُ أحد ، فقط تخلصي منه واِتبعي قوله تعالى : " ولاَمُتَّخِذَاتٍ أَخذَان" ولا

تتخذي خليلا في السر وتعتبري نفسك ملكةً على قلبه لا .. أنتِ مجرد مغفلةٍ اِنجرت وراء شهواتها فمن يريدكِ من كلِّ قلبه سيشقى ليصل إليك وذلك الذي يستحق . . أن يأتي من بابِ الله الواسع ويشرب قهوةً مع والدكِ ويتحدثان في موضوعٍ جميل هو "أنتِ"، لا تقولي لي أحبه من قلبي ، فالقلبُ متقلبٌ يا صغيرتي كما وضعتِ حب شهواتك في قلبك تحت اِسم الحب ، اِنزعيه وأتركيه لله فمن ترك شيئا لله عوضه به أو بما هو خيرٌ منه .

عن أمينة ، صارت تشارك في معارض مختلفة للكعك والحلويات بين مختلفِ دول العالم ، صنعت من نفسها شخصًا آخر ناجحا بقوته وإرادته وقد ساعدها تمكنها من اللغات الأجنبية من التسجيل في دوراتٍ جديدة أكسبتها أشياء جديدة لم تكن تَحلم بها مطلقا.

تكمنُ القوة في أن نحقق كل أحلامنا وأن لا نستمع لمن يهدمونا ويسعون إلى إسقاطنا في القاع ، اِنتقم بنجاحك ولا تترك لهم حق الوصول إليك حتى ، لا تتردد فيما يريد قلبك ، أكرمه بما تحب كأن تحقق له أحلامك وتضعها على الطاولة وتشربان شايا معاً . .سيسعدُ بكَ قلبك إن فعلت هذا ، كن قويا من أجلك . . من أجل لحظاتكَ الجميلة وأنت تصعد على سُلم النجاح ولا تخبر عنها أحدًا فقد يستطيعُ الناس أن يسرقوا منكَ أشياؤك . . فرحتك.. ضحكتك .. و قلبكَ أيضًا ، حياتكَ حتى ... ولكن ليس بإمكانهم سرقةَ شعور ما عشت من لحظاتٍ مميزة لم تَحكِ عنها لأحد.

خُطِبت صورية لمعتز وقَرُب موعدُ عرسِ قلبينِ ينتظران الحلالَ بفارغِ الصبر ، رغم تخرجها من الجامعة إلا أنها فضلت أن تُساعد صديقتها أمينة في محلها ذاك الذي كان سبباً في لقاءِ قدرها .

لو طالتْ بكم الأعمارُ و مضتِ الكثيرُ من السنين . . فلا تستعجلوا الحب ، تمهلوا فقط ... فلكل قلبٍ قلبٌ يليقُ به ، سيلتقي هذين القلبين ذات يوم في عالمٍ ما.

تمسّك أنور بأسماء كثيرا بعدما أُجهِض طفلها عندما وقعت من الدرج بعد حادثةِ نرجس التي زعزعت عمود القصر بخيانتها ،وأدرك أن من مثلها لا يتكررون فأصبح يريدها لأنها صبرت معه وعليه أمآ الأطفالُ فهم رزقٌ على الله.

ليس عليكَ أن تخسرَ شخصًا يحبك ، يراك بقلبه قبل عينيه من أجل شيءٍ آخر ، لا تخسِر سندكَ من أجل غبائك .. فكلّ الأشياء الأُخرى تُعَوّض يا أعزائي.

"إياد وعماد " هما السبب في تمسكِ والديهما بزواجهما الذي كادت تهدمه فدوى فقد ندمت وتخلت عن طباعها و أطماعها مقابل عائلةٍ وزوجٍ وقعوا في حظّها مرةً واحدة.

اِقتربت النجمة البعيدة من النهر الجاري أخيرا وأبحرا معًا في هدوء الحب ، وعادت لمياسين روحها التي فقدتها وعثر سيمان على جوهرته المصونة وتمسك بها كثيرا ولكن في عزّ اِنطفائها و علّمها كيف تضيءُ من جديد. .معه هو فقط .

وأخيرًا وصل يوم زفاف صورية فأخذها معتز تحت زغاريد والدتها وبكاء أخواتها وحزن صديقاتها و تركت مكانها فارغًا و ملأت مكانا آخر رفقة زوجٍ صالحٍ يخطُوان نحو الجنةِ معًا .

بعد مدةٍ ليست بطويلة حضروا جميعًا لمعرضِ الكتاب والذي ستطلق فيهم رفيقتهم أولى روايتها ، تعرفت مياسين على "سلمى" التي لم تسمح لها كلّ الفرص بالتعرفِ عن قرب مسبقا وفي لقائهما شعرت بشيءٍ غريب يسري داخلها وقشعريرةٍ غريبةٍ اِجتاحت جسدها عندما سألتها سلمى : هل تعرفنا ذات يوم من قبل!؟ أعتقدُ أن وجهكِ مألوفٌ لي..!

ولكن مياسين أنكرت ذلك فهما حقا لم يلتقيا من قبل سوى في محل أمينة ولم يتعرفا يومها ، وأهدتها كما كل الحاضرين نسخةً من روايتها الأولى" بين القاعِ والقاع" .

عندما أمسكت الرواية بيديها شعرت بهواءٍ غريبٍ سد رئتيها وبردت روحها قليلا ولكنها تجاهلت الأمر اِعتقدت أنه بفعل الجو الذي تغير.

كانت أولى خطواتُ البداية صعبةً جداً يملأها الخوف من المجهولِ والمجهول أيضا فما بين القاعِ والقاع عشتُ حكايةَ قلبٍ لم يحكِ من قبل ، حكايةَ اِنسانٍ لا أحد يعرفه ولا حتى أنا . . بين الأسطرِ والأسطرِ أسطرٌ أخرى لم تقرؤها ولم تعرفوا عنها شيئاً ، خبأتُها جيدا بين الكلمات ومزجتها بحروفٍ حزينةٍ سعيدةٍ .

إن أحببتم : تمسّكوا ولا تأذوا أحدًا و اِجعلوا الحلال طريقكم الأول والأخير. .
فإن كرهتم : فاحتفظوا بمشاعركم لأنفسكم و لا تذبحوا بها قلوبا تحبكم

و تحدّوا كما تحدّت تلك التي أوقعوها في القاعِ و نَجت.

بينَ القاعِ والقاعِ بحثتُ عن قلبي كثيرًا . . قلّبتُ كلّ رُكام الأشياء المنكسرة ولم أجده ، لأنهُ لم يسقط بل ظلّ في قلبي ، فقط تزعزعت قليلا وبقرب الله و بفضل ذلك الطير وجدتها . . وأخيرًا وجدتُ قلبي..

كانت هذه الأسطر حديثَ مياسين مع نفسها وهي تبتسم لنفسها وتستعد لتخبر زوجها بأنها حامل بأول طفلِ حبٍ ، فقط كانت تنتظر عودته من العمل، فحاولت إشغال نفسها بشيء ما حتى تقتُل لوعة الانتظار المميتة فقررت أن تقرأ كتابا أو روايةً ما عسى أن يمضي الوقت قليلا ..

أمسكتِ الرواية التي أهدتها لها سلمى فشعرت بنفس الشعور الذي أحست به أول مرة عندما لمست يديها لأول مرة ولكنها طمأنت نفسها بأنها من أعراض الحمل و بدأت تقرأ وتتفحص ما كُتب على الغلاف:

بين القاعِ والقاع . . " سلمى بوهالي"

قلبت الصفحات وقرأت :إهداء :

إِلَى أُولَئكَ الذِّينَ أَنْقَذْناهم يَومًا مِن حافَةِ الضَيَاع وأمْسَكْنا بِهم جيدًا حتَّى لا يقعُوا في القَاع ثم دَفعُونا إلى الأسفلِ بكلِّ ما يَملِكونَ مِن حُب ، عفوًا بكلِّ ما يملكونَ من قوَّة !

"تخطينا يا أعزائي لم تعد الحافة تُخيفنا"

غاصت بين صفحات الرواية والدهشةُ والرعب يتملك جسدها .. شيءٌ ما غريبٌ يحدث في هذه الرواية ، كيف تجدُ نفسها بطلةً لقصةٍ لم يعلم بها أحد

بين ليلةٍ ونهارها وكيف يكتبُ عنها شخصٌ ما لا تعرفه من قبل! ، قرأت وقرأت حتى وصلت إلى الجزء الذي أرعبها كثيرا وألقت بالكتاب أرضا :

كانت أولى خطوات البداية صعبة يملأها الخوف من المجهولِ والمجهول أيضا، فما بين القاعِ والقاع قرأتم حكايةَ قلبٍ لم يحكِ من قبل، حكاية انسانٍ لا أحد يعرفه ولا حتى أنا ، بين الأسطرِ والأسطرِ أسطرٌ أخرى لم تقرؤها ولم تعرفوا عنها شيئاً، خبأتها جيدا بين الكلمات ومزجتها بحروفٍ حزينةٍ سعيدةٍ .

فإن أحببتم : تمسكوا ولا تأذوا أحداً و اجعلوا الحلال طريقكم الأول والأخير.

و إن كرهتم : فاحتفظوا بمشاعركم لأنفسكم و تذبحوا بها قلوبا تحيكم .

تحدوا كما تحدت تلك التي أوقعوها في القاع ونجت.

بين القاع والقاع بحثت عن قلبي كثيرا ، قلبت كل ركام الأشياء المنكسرة ولم أجده ، لأن لم يسقط ظل في قلبي ، فقط تزعزعت قليلا وبقرب الله و بفضل ذلك الطير وجدتها . . وأخيرًا وجدتُ قلبي..

كانت هذه الأسطر حديثَ مياسين مع نفسها وهي تبتسم لنفسها وتستعد لتخبر زوجها بأنها حامل بأول طفلِ حبٍ حلالٍ .

أمسكت الرواية التي أهدتها لها "سلمى " متفحصةً وقرأت في أول صفحة :

بين القاعِ و القاع "سلمى بوهالي"

قلبتِ الصفحات وقرأت :إِلَى أُولَئكَ الذِّينَ أَنْقَذْناهم يَومًا مِن حافَةِ الضَيَاع وأمْسَكْنا بِهِم جيدًا حتَّى لا يقعُوا في القَاع ثم دَفعُونا إلى الأسفلِ بكلِّ ما يَملِكونَ مِن حُب ، عفوًا بكلِّ ما يملكونَ من قوَّة !

"تخطينا يا أعزائي لم تعد الحافة تُخيفنا"

غاصت بين صفحات الرواية والدهشة والرعب يتملك جسدها شيءٌ ما غريبٌ يحدثُ في هذه الرواية كيف تجدُ نفسها بطلة قصةٍ لم يعلم بها . . قرأت وقرأت حتى وصلت إلى الجزء الذي أرعبها كثيرا وألقت بالكتاب أرضا ....

في هذه الرواية يوجدُ فقط ثلاثُ أشخاصٍ حقيقين : سلمى ، صورية وأمينة ، وما دون ذلك فهي كلها شخصياتٌ لا تتواجد على أرض الواقع .

تمت بحمد الله ...